الدكتور عدنان علي رضا النحوي

لقاء المؤمنين

الجزء الأول

أُسسه وقواعده

الطبعة الخامسة
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

دار النحوي
للنشر والتوزيع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان علي رضا

لقاء المؤمنين - الجزء الأول - أسسه وقواعده

عدنان علي رضا محمد النحوي -ط٥ الرياض ١٤٢٧هـ

١٥٧ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ١-٥-٩٧٧٩-٩٩٦٠

١- الاسلام والمجتمع ٢ - الوعظ والارشاد

٣ - الثقافة الاسلامية أ - العنوان

ديوي ٢١٩ ١٤٢٧/٦٠٤٠

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٦٠٤٠

ردمك : ١-٥-٩٧٧٩-٩٩٦٠



الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م
الطبعة الثانية
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م
الطبعة الثالثة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
الطبعة الرابعة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الخامسة
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م



دار النحوي للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢
موقع الانترنت : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية



موقـع
" لقـاء المؤمنـين "
على الشبكة الدولية الإنترنت
www.alnahwi.com

يهدف هذا الموقع إلى المساهمة مع المواقع الإسلامية الأخرى وجهود العاملين إلى بناء الجيل المؤمن وبناء الأمة المسلمة الواحدة التي تكون فيها :

كلمـة الله هـي العليـا

نأمل التلطف بزيارة هذا الموقع وإبداء ملاحظاتكم ونصائحكم على البريد الإلكتروني :

info@alnahwi.com

كما يسرنا دعوة إخوانكم وأصدقائكم لزيارة الموقع .



الإهداء

إلى المؤمن العامل ....

حتى يسهل أمامه النهج

وتتضح الصّورة ... ويستقيم

السّبيل ... ويمضي على بركة

ونور ... إن شاء الله

الافـتـتـاح

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠]

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى». [أخرجه أحمد ومسلم صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٦٦٦٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لايخونه، ولايكذبه، ولايخذله، كلُّ المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه، التقوى ها هنا - وأشار إلى القلب - بحسب امريء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم».

[أخرجه الترمذي صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٦٧٠٦)

كلمـات مضـيئـة

للدكتور عدنان علي رضا النحوي

بنـــاء الإنســـان

إن بناء عمارة مهما عظمت يسهل إذا قيس ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بنـــاء الإنســـــان وإعداده وتدريبه فهي مهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين خُتموا بمحمد ﷺ ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن ، على أسَاس من المنهاج الربّاني - قرآنا وسنة ولغة عربيّة -.

* * *

حقٌ التعـاون
بين المؤمنين ووجوبه

يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه .

* * *

خافوا على أنفسكم

أيها النــاس ! أيها المسلمـون ! أيها الدعاة ! كما تظهرون الخوف على الإسـلام ، مع أنَّ للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفون بعهدهم معـه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نصرتم الله كما أمركم وتجنبتُم الفتن التي نهاكم عنها ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟ ! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

* * *

إذا غاب النهج والتخطيط

إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرباني في واقع أيّ أمّة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضج بها ولا تجد لها رصيداً في الواقع إلا مرارة الهزائم وتناقض الجهود واضطراب الخطا ، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستسلام !

* * *

فـريقـــان

فريق له نهجه وخطته وفريق لانهج له ولا خطة

إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يُدَوِّي بها ، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحوِّل جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

* * *

الأهداف الربانية وتحقيقها

إن الأهداف الربانية لا يمكن تحقيقها إلا بجنود ربانيين ووسائل وأساليب ربانية . وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .

* * *

العـاجـز

من عَجَزَ عن إصلاح نفسه فهو أعجز عن إصلاح غيره أو إصلاح المجتمع .
كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصلاح .

* * *

تَقبُّل النصيحة

من سدَّ أذنيه عن النصيحة فَقَدَ فرصة عظيمة لمعرفة أخطائه، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج، وتعرَّض أكثر للمتاهة والضلال.

* * *

اتباع الحقِّ لا الهوى

إن الهوى لا يُصْلِحُ بل يفسد ويدمِّر، وإن اتّباع الحق هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة، وكذلك للبشرية كلها.

* * *

من صدق الله نجا

بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص. من صدق الله نجا ودخل إلى الحق، ومن ضلَّ هلك ودخل إلى الهوى.

* * *

تكامل الإسلام وتكامل الدعوة إليه

ليس من الحكمة أن نكتفي بإعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحي به. ولكن الحكمة والواجب أن نُظْهِرَ تكامل الإسلام من عفو وتسامح، ومن عقوبة وحزم، ومن سلام وحرب، ومن حكمة وتشريع، ومن إيمان وتوحيد.

* * *

أين تبتدىء المعركة

إن المعركة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت بها ، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هزمت بها فستُهزَم في سائر المعارك ! وتظل هذه المعركة ممتدَّة مع المسلم حياته كلها حتى يلقى الله .

* * *

الحَيْدُ عن الصراط المستقيم

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل صراطه الحقَّ مستقيماً، حتى لا يَضلَّ عنه أحد. وجعله سبيلاً واحداً حتى لا يُخْتَلَفَ عليه، وجعله صراطاً مستقيماً ليَجمع المؤمنين أُمَّةً واحدة وصفّاً كالبنيان المرصوص.فلماذا تاه المسلمون عنه فتَفَرَّقوا، واختلفوا عليه فتَمزَّقوا، ثمَّ ضَعُفُوا وهانوا ؟!

* * *

حتى يفيقوا أو يهلكوا

وكلَّما توانى المؤمنون عن الوفاء بالعهد والتزام الحقِّ والدعوة الصافية في صفٍّ واحد كالبنيان المرصوص ، أنزل الله بهم البلاء والعقاب والعذاب ، حتى يستيقظوا أو يهلكوا .

* * *

أخوة الإيمان
عاطفة ومسؤوليات

إن أُخوّة الإيمان ليست عاطفة فحسب ، ولكنَّها مسؤوليات وواجبات ، وحقوق والتزام ، لاتسقط حتى لو تغيَّرت العاطفة . إنَّها رابطة المؤمنين في الأرض جميعاً ، رابطة يجب الوفاء بها . إنها رابطة ربَّانيّة أمر الله بها المؤمنين جميعاً ، حتى يكون الولاء الأوّل لله ، والعهد الأوَّل مع الله ، والحب الأكبر لله ورسوله . وبغير ذلك لاتتحققُ أخوة الإيمان .

* * *

لو حقق المسلمون

أخـوّة الإيمـان فـي واقعهـم

لو أنَّ المسلمين حققوا في واقعهم "**أخوة الإيمان**" كما أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ لأنزل الله نصره عليهم ولسادوا العالم ! ولأعزّ الله الجميع !

* * *

أخوة الإيمان
والولاء الأول لله
والعهد الأول مع الله وحده
والحبّ الأكبر لله ولرسوله.

لاتصدق أخوّة الإيمان في ميدان الممارسة والتطبيق إلاّ إذا كان الولاء الأول لله وحده دون شرك ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر لله ولرسوله ، ثمَّ يَنبع كلُّ ولاء وعهد وحبٍّ في الحياة الدنيا من الولاء الأوّل والعهد الأول والحبّ الأكبر .

* * *

كلمـة المـؤمـن
صادقـة طيبـة

كلمة المؤمن طيّبة ، قويّة ، واعية ، لاتنحرف عن الصراط المستقيم . إنها بركةٌ للناس ، ونورٌ في الحياة ، وسلاح في الميدان . وهي أساس حريّة الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى .

* * *

الخلل فينا والأخطاء منّا

لايختلف مؤمنان في أنّ كلّ مايجري في الكون والحياة ، من أمر صغير أو كبير ، هو بقضاء الله وقدره : قضاء نافذ ، وقدر غالب ، وحكمة بالغة ، وحقّ لا ظلم معه أبداً . ومن هنا وجب علينا شرعاً أن ننظر في أنفسنا ، في واقعنا ، فالخلل فينا ، والأخطاء منا ، والتقصير جلي كبير ! .

* * *

أيها المسلم !
إنّك مسؤول ومحاسَب

إنك مسؤول أيها المسلم ، وإنك محاسَب ، ولايغرنّك أن تقول لنفسك إنّ المسؤولين هم العلماء والدعاة وحدهم . نعم إنهم مسؤولون ومحاسَبون وإنك مسؤول ومحاسَب . ولاتنفع الندامة والحسرة يوم القيامة ! فانهض إلى مسؤوليّتك أيها المسلم .

* * *

منهاج الله ودراسته
وتدبّره وممارسته في واقع الحياة

أيها المسلم ! لاتكن كالميت بهجرك دراسة منهاج الله وتدبّره وممارسته في واقع الحياة ، فاطلب الحياة والنور ، والهداية والفلاح بذلك ، والقاعدة لذلك :

* أن تكون دراسة منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - منهجيّة يوميًا.

* وأن تكون صحبة عمر وحياة لاتتوقف أبداً ، حتى يلقى المسلم ربّه !

* أن يتدرَّب المسلم على رد الواقع بأحداثه وأفكاره إلى منهاج الله ردّاً أميناً ، ليصاحب ذلك دراسة منهاج الله .

* * *

التزمِ النَّهج الإيماني للتفكير

أخي الكريم ! أيها المسلم ! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سليمة ، ووهبنا القدرة على التفكير ، فأول مانطلبه ونوصي به هو أن نُفكّر ، أن نفكر التفكير الإيماني ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير على نهجٍ إيمانيٍّ ونور وهداية بآيات كثيرة .

* * *

الفقه في الإسلام

الفقه في الإسلام يقوم على ركنين : المنهاج الرباني - قرآنا وسنة ولغة عربيّة - ، والواقع . فلا يوجد فقه خاص يسمى " **فقه الواقع** " ، فالفقه كله قائم على الواقع والمنهاج الرباني .

* * *

الفقه وامتداده وحدوده

كل مسلم مكلّف أن يجتهد فيما هو ضمن مسؤوليته الشرعية وحدود اختصاصه ووسعه وعلمه ، مما سيحاسَب هو عليه يوم القيامة ، دون أن تتعطل الاستعانة بإمكانات المجتمع ، أو الشورى ، على أن يهيّء المسلم نفسه للمسؤوليات المكلَّف بها ، ويتزوّد لها بالزاد الحق .

* * *

المسؤوليّة والفقه

لافقه دون مسؤوليّة ، ولا مسؤوليّة دون فقه .

المـقـّـدمــة

لقاء المؤمنين .... !

إنَّها الكلمة التي تبرز عن عقيدة وواقع ، تحمل معها ظلال العقيدة وأجواء الواقع .

إنَّ لفظة المؤمنين لفظة حبيبة إلى القلب ، رقيقة على النفس ، مليئة بالظلال النديَّة ، غنيَّة بالأمل الحلو .. ! .

إنَّها تحمل معها رَفَّة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، والنداء العلويّ ، والشَوق الحاني ، والأمنيات العذاب .. !

أمل اللقاء .. ! وأُمنيات التلاق .. ! وبَلاَل النفوس الظامئة .. ! وعزَّة القوة الرحيمة ... ! وفرحة النصر المبين .... ! .

على طريق طويل ، وصراط مستقيم ، ووراءه تاريخ وأمجاد وشهداء ، وأمامه عرق وبذل وجهد ، صبر على محنة وابتلاء ، وعبادة واستخلاف ، وأمانة وعهد ، وميثاق غليظ .. !

لقاء المؤمنين .... !

لقاء تذوب فيه العصبية والإقليمية والقومية . تموت فيه الجاهلية وأهواؤُها والظلم وعواصفه ، والشرك وفجوره ، والرذيلة وآثامها .

لقاء تجتمع فيه الأجناس والألوان ، والقلوب والأفكار ، والعواطف والآمال ، تلتقي هذه كلُّها على صراط مستقيم ، ونهج قويم ، وهدف كريم ، تلتقي هذه كلُّها على منهاج الله ، ليجمعها أُمة واحدة ، وقوة واحدة .

لايجمعهما صنم مهما يكن ذلك الصنم ، ولا شعار عابر مستعار ، ولا هوى ثائر تائه ، ولا طائفة غرها الفرح الخادع والجهل القاتل .

هنا ...! في لقاء المؤمنين ...! تهدأ النفوس وتطمئن على إشراقة آية أو حديث ،

وقوة نهج كريم ، وعزَّة سلطان أمين ، وحبل من الله متين ، وأُخوَّة وموالاة ، وصبر ومعاناة ، وقربى ورحم ، وجوار موصول ، وروابط مشدودة .

لقاء المؤمنين هو لقاء الفطرة السليمة ، والسجيَّة الكريمة ، هو لقاء الإنسان وحاجته ، حيثما كان الإنسان ، في كل عصر ، في كل أرض ، مع كل حال . هو لقاء الإنسان وحاجته مادام الإنسان على سلامة فطرته ، وصدق نيته ، وصفاء طبيعته ، يتلقى الإيمان تلقِّياً ليِّناً ، يجرى في عروقه وأوصاله ، يمدها بالحياة والقوة ، فتنمو الفطرة على سلامتها وصفائها ، وتتصل بالكون وآياته اتصال تعارف وانسجام ، وتتصل بالحياة اتصال خشوع لله وإنابة ، وتتصل بالخلق هداية ونوراً ، وتتصل بالمنهاج الرباني - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - : علماً ومعرفة ، وتدبراً ووعياً ، والتزاماً وممارسة .

وتمضي قافلة المؤمنين على لقائها هذا ، منطلقة منذ فجر التاريخ ، مع أول رسالة من عند الله على آدم عليه السلام ، وتمضي مع تتابع الرسالة السماوية من رب العالمين ، وتمضي عاملة صابرة ، مجاهدة ظافرة ، وتمضي مع خاتمة الرسالة ، رسالة محمد بن عبدالله ﷺ ، لتحملها إلى الأجيال كلِّها ، والشعوب كلها ، أمانة تؤدِّيها ، وعبادة تقوم بها ، واستخلافاً أنيط بها ، وابتلاء يمحصها .

هذا اللقاء الممتد مع التاريخ ، هو جزء من دين الله لاينفصل عنه ، ومحور في منهاج الله ثابت مكين ، لقاء يصنع التاريخ بل هو التاريخ ، ويصنع الحضارة بل هو الحضارة ، ويدفع التطور بل هو التطور . وماعداه فغثاء زائل .

وهو مع ذلك حاجة وضرورة . حاجة وضرورة للمؤمنين . إذا اختل ، اختل أمرهم واضطرب . وحاجة للإنسان وأساس اجتماعه وتعارفه ، حاجة وضرورة إذا فقدها الإنسان فكأنه فقد الهواء والماء ، والغذاء والكساء . لاتستقيم له حياة بغيره ، ولا يستقر أمنه خارجه ، ولاتتضح إنسانيته بسواه فهو بدونه كالأنعام ... ! كالذئاب ...! كالوحوش ...! في أدغال وغابات وظلام ودياجير ، وتيه وضياع ...!

عدنان علي رضا النحوي

الرياض ١/١/١٤٠٣هـ
الاثنين في ١٨/١٠/١٩٨٢م



الباب الأول

طبيعة لقاء المؤمنين وخصائصه

تمهـيـد

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده . ومن بطَّأ به عمله لم يُسرعْ به نسبه» . (رواه مسلم)

يجول بنا هذا الحديث الشريف جولات واسعة ، ويتنقَّل بنا في ميادينٍ متعدِّدة . ومع كل جولة وكل نقلة ، نرى صورة من صور لقاء المؤمنين ، بكلِّ إشراقها ونورها ، وكلِّ جلائها ووضوحها ، وكلِّ بركتها وخيرها . وتمتدُّ الصور الرائعة في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله ﷺ ، تمتد الصور لتعرض لنا أعظم نماذج اللقاء ، وأطهر العمل ، وأزكى الجهد ، في تاريخ البشريّة كلها .

ففي مواقف الهم والكرب يلتقي المؤمن مع أخيه المؤمن ، لينفس عنه كربته ، بنيَّة خالصة يرجو بها ثواب الله يوم القيامة ، وما أعظمه من ثواب . وفي مواقف العسر واليسر ، والشدة واللين ، ومع مختلف الظروف والأحوال ، يلتقي المؤمنون على هذه النية الطاهرة ، والرغبة الأمينة ، بالأجر والثواب . وفي مواقف العاطفة والحنان ، والرحمة والإحسان ، حين يستر المؤمن على أخيه المؤمن من زلّة استزلّه الشيطان إليها ، يستر عليه في أجواء التوبة الصادقة ، والنصح النقيّ ، والإنابة والاستغفار . في هذه المواقف يحيي المؤمن في أخيه إيمانه بعد وهن ، وينير له دربه بعد ظلمه ، وينهض بعد عثرة .. !

وفي دروب العلم ...! يعرض لنا الحديث صورة من صور اللقاء على هذا

الدرب المبارك ، يمضي إلى الجنة . على هذا الدرب يلتقي المؤمنون وأبصارهم معلقة بالجنة ، وقلوبهم خفاقة إليها ... ! وما أعظم العلم وهو في بيت من بيوت الله ، آيات تتلى ، وأحاديث تذكر ...! ملائكة تتنزل لتحف لقاء المؤمنين ، وسكينة تنزل على جنود عابدين عاملين ، ورحمة تغشى ، وذكر في الملأ الأعلى . إنه لقاء المؤمنين .. لقاء على منهاج الله ... ! ذلك لأن منهاج الله هو الذي يجمع .

وفي ساعات العمل كلِّها ، ودروب السعي ، يلتقي المؤمنون على نيَّة وإيمان وعلم وعمل ، لا على أحساب وأنساب ...! «**فمن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه**» . في هذا اللقاء تنتفي عصبيات الجاهلية ، وروابط الشرك ، وتنهض وشائج الإيمان نابضة حية ، عاملة قوية ، عُرى موثقة ، وحبالاً مشدودة ، عطاءً وجهداً ، وبذلاً وسعياً ، لا استرخاء ولا تواني . ولا أوهام ولا أماني .

صور مشرقة للقاء المؤمنين ...! وما أجمل إشراقها ...! جليَّة وما أشد جلاءها ...! نقيَّة وما أطهر نقاءها ...! تجتمع هذه الصور كلُّها على قاعدة إيمانية متينة ، راسخة ثابتة ...! ألا إنها التعاون النابع من الإيمان ، التعاون المتصل بالله ، النقيُّ من الشوائب والأدران ...! «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ...!**» ما أشد هذا الارتباط ، وما أوثق هذه العروة . عون الأخ لأخيه يجلب عون الله ، بركة ورحمة ، ورزقاً وعافيه ، عون الله ...! الله رب العالمين ، رب العرش العظيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو ، هو في عون العبد ، سبحانك ..! لا إله إلا أنت ...! ما أعظم لقاء المؤمنين وفيه هذا الخير العظيم ...! إن هذا التعاون بين المؤمنين نابع من فطرة الإيمان ، ومن صدق في العلم ، ومن صفاء في العبودية لله ...! إنه لا ينبع من أوامر بشرية ، وفرق ومذاهب وأولياء ومصالح . إنه نابع من صفاء في الأخوة ، ومتانة في الرابطة ، رابطة وصلها الله ، ووثَّقها الله ، فمن له أن يقطع أو يبدِّل ...! إذا صح هذا التعاون بين المؤمنين على هذا الصفاء من الإيمان والتصور ، نقيّاً من موالاة باطلة ، أو إقليميات قاتلة ، أو عصبيات جاهليَّة ، أو تكتلات أنْسَت الناس صفاء النبع ، وألهتهم عن قوة المصدر ، إذا صح هذا التعاون ... «**ماكان العبد في عون أخيه**» ... عندئذ يتنزل عون الله رحمة وبركة ... «**والله في عون العبد...**» .

نماذج من لقاء المؤمنين جمعت كلَّ الميادين :

من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ...!

ومن يسَّر على معسر ...!

ومن ستر مسلماً ... !

ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ... !

وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ... !

وهذه النماذج كلُّها تَضُمُّها قاعدة راسخة متينة :

والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه ... !

وقاعدة راسخة أخرى .... !

من بَّطأ به عمله لم يسرعْ به نسبه ... !

هذه الصور الجامعة ، الصور الفذَّة الرائعة ... إنها لتحتاج إلى قلوب خاشعة ، وأكفٍّ ضارعة ، وسواعدَ مشدودة ، وأيد ممدودة ، ونفوس باذلة ، حتى تجعل من هذه الصور واقعاً حياً ، وممارسة صادقة . فلا تقف عند الناس شعارات ورايات ، وأحاديث ونوادي فحسب .

لقاء المؤمنين هذا ، في ميدان الدعوة ، أو التربية والإعداد ، أو البناء والتكوين ، أو الجهاد والقتال ، أو العلم أو السياسة ، أو الاقتصاد ... في أي ميدان .. من ميادين الخير والبركة ، لقاء المؤمنين هذا هو الذي صنع تاريخ الإنسان ، وحفظ بذرة الخير ، وجذوة النور . لقاء المؤمنين هذا له طبيعته وخصائصه . خصائص ربانية لايحددِّها أحد من البشر ولا وَليٌّ من الأولياء ، ولا كاتب ولا شاعر ... خصائص حدَّدها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، وفي سنة نبيه الكريم محمد ﷺ . إنَّنا نريد أن نتحرَّى هذه الخصائص في المنهاج الربَّانيّ ، نريد أن ننظر في واقعنا الحقيقيّ ، نريد أن نرى كم يحمل المسلمون اليوم من هذه الخصائص .

فلعل الحقيقة تتضح ، والسبيل تمتدُّ وتبين ، والعزيمة تنهض إلى حق ويقين . فلا جدل ولا مراء ولا قيل ولا قال ، ولكن جهد وبذل ، وعطاء وعمل .

فلا عجب إذن أن يخرج عن هذا اللقاء العظيم أمَّة عظيمة تحمل الخصائص كلَّها لتكون خير أمة أخرجَتْ للنَّاس :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾

[آل عمران: ١١٠]

الفصل الأول

رابطـة اللقـاء

لكل قوم رابطة ، ولكل جماعة عروة ...! وذهب الباحثون والمفكرون يضعون للناس روابطهم ، كما يتوهمونها ، أو كما يتصورونها . فمن أرض ، إلى تاريخ ، إلى لغة ، إلى مصالح ... ! إلى صور متعدِّدة يختلفون حولها ، ويجهدون في تسويغها ، متمثلين في واقع محدود ، أو زمن عابر . وظهرت النظرّيات ، وبرزت القوميات ، فما زادت البشرية إلا ضلالاً ، وما كسبت إلا تيهاً . وعمّت الفتنة ، وهاجت الأهواء ، في إطار هذه الصياغة البشرّية أو تلك ...!

ولكنّ المؤمنين لهم شأن آخر . فإن اجتمع بعضهم في هذه الأرض أو تلك ، وإن كان لطائفة لغة خاصة ، ولطائفة أخرى لغة ثانية ، وإن جمعت بعض أحداث التاريخ فئة هنا أو هناك ، وإن التقت المصالح حيناً ، فإن هذا كلّه جائز ومحتمل ، ولكنه قابل للتبدل والتحول . فقد يهاجر الناس من أرض إلى أرض ، وقد تجمع أحداث التاريخ وقد تفرِّق ، وقد تتعدّد اللغات في الأرض الواحدة ، وتظل هذه العناصر كلُّها مصدر تجميع حيناً ، ومصدر تفريق حيناً آخر . إنها عوامل حقيقية في حياة الإنسان ، تؤثر في واقعه ، ويؤثر فيها ، ولكنها لاتنهض إلى أن تكون محور لقاء الإنسان مع الإنسان ، ولاتنهض لتجمع أمة تمتد في الأرض والتاريخ ، وتصوغ المصالح في تناسق وتكامل . إن الأهواء البشرّية ، والمصالح الآنيّة ، تضخِّم أثر هذا العامل أو ذاك ، حتى يجعله الوهم محور تجمع وأساس لقاء .

إنه لقاء محدود ...! محدود في دائرته ونشاطه ، محدود في امتداده وأثره . إنّه لقاء لفئة واحدة ولكنه تمزيق للإنسان ، إثارة للأهواء ، تحريض على ظلم وعدوان .

أما المؤمنون فقد صاغ الله سبحانه وتعالى رابطتهم ، ومدّ بينهم حبالهم ، ووثّق لهم عروتهم . ولم يشأ الله سبحانه وتعالى أن يترك ذلك لأحد من البشر

مهما كان ذلك البشر . فنزلت آيات تتلى ، وأحاديث تفصِّل ، لتحقِّق رابطة هي أعظم ماعرف الإنسان من روابط ، وأعزّ ما مَدَّ من حبال ، وأوثق ماعرف من عُرَى .

إنه الإيمان بكلِّ آفاقه وإشراقه ، الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، الإيمان بما أُنزل من عند الله ، الإيمان الممتد في أغوار التاريخ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . إنها العقيدة الكاملة التامة ، العقيدة المفصَّلة المحكمة . إنه الدين الواحد الذي لادين سواه . هو دين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً . إنه الإيمان والعقيدة ، والدين ، جمع الإنسان على الحق المبين ، وأنار له الدرب القويم ، والصراط المستقيم . إن هذا كله يوضح الرابطة الحقيقية ، والعروة العملية ، والحبل المتين ...!

أَلا إنها أُخوة الإسلام ، أُخوة الإيمان ...!

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...** ﴾ [الحجرات: ١٠] .

وتمضي سورة الحجرات لتحدد هذه الرابطة بكل آدابها ومسئولياتها وأمانتها ، من خلال إيمان وعقيدة ودين . فمن خلال السمع والطاعة لرسول الله ﷺ ، والأدب الصادق معه ، وعرض النعمة والفضل من الله ، تعرض سورة الحجرات أُخوَّة الإيمان في كل حالاتها : في حالة الخلاف ، والقتال بين طائفتين حين تظل الأخوة قائمة عاملة : «**فأصلحوا بين أخويكم ...**» . وتعرض أدب الأخوة فلا يسخر قوم من قوم ، ولانساءٌ من نساء ، ولا لمز ولا تنابز ، ولا افتراء ولا عدوان ، ولاظن ولاغيبة ولا نميمة ... وإذا هذهِ الأخوة تجمع الإنسان كله ، والأقوام كلها .

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾** ﴾ [الحجرات: ١٣]

ثم تربط ذلك كله بعقيدة وإيمان :

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [الحجرات: ١٥]

فهذه الأُخوة في الله تقوى وتشتد من خلال الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، حيث تنقطع الريبة عن الإيمان ، ويبرز الصدق واليقين .

ويمضي منهاج الله - **قرآناً وسنَّة ولغة عربية** - يكرم هذه الرابطة العظيمة ويفصِّل في خصائصها ومسئولياتها وأماناتها حتى لايبقى عذر لمتوانٍ أو مستهتر ... !

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** » . (متفق عليه)

المسلم أخو المسلم ... ! قاعدة ربانية وليست صياغة بشرية .

المسلم أخو المسلم ..! أمام مسئوليات محددة وأمانة واضحة : (**لايظلمه ولايسلمه ...**) . إنها ليست عاطفة مجردة ، وشعاراً فحسب .

المسلم أخو المسلم ... !

إنها أخوة الإسلام مبرأة من كل عصبية ، نقية من كل جاهلية ، خالصة من الشهوات والرغبات المتنازعة المتصارعة .

هذه هي رابطة لقاء المؤمنين ، وعليها يقوم اللقاء . فإذا اختلت هذه الرابطة اختلَّ لقاء المؤمنين بسائر خصائصه وميزاته . هذا ولانهدف هنا إلى أن نعرض كل ماورد في منهاج الله حول هذه الأُخوَّة العظيمة ، والرابطة المباركة ، على ضخامة ما ورد وأهمية ماتنزَّل به الوحي . ولكننا نود أن نبرز بعض القضايا التي نشعر أن المسلمين أغفلوها في واقعهم اليوم[1] .

والقضية الأولى : هي أن هذه الأُخوَّة ليست أمراً صنعه البشر ، أو دعا إليه القادة ، أو اجتهدت به التكتلات البشرية . إنها أمر من عند الله . إنها أمر يتلقَّاه

---

(١) مراجعة كتاب دور المنهاج الرباني - الباب الرابع - الفصل الثاني للمؤلف .

المؤمن آيات وأحاديث تنزَّل بها الوحي الكريم . فهي قواعد ربانية ، من عند الله ...!

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [الحجرات: ١٠] .

وبذلك لايكون لقاءُ المؤمنين على هذه الرابطة لقاء إقليمياً ، أو قومياً ، أو لقاء أحساب وأنساب وأحزاب ! إنه لقاءٌ ربّاني يحمل الخصائص الربانية كما وردت في منهاج الله .

وما مهمة البشر إلا التذكير والنصح ، والدعوة والقدوة ، والممارسة والبذل . ومن هنا تحمل هذه الرابطة الكريمة شمولها وامتدادها ، لايحصرها لون أو جنس ، أو أي شكل من أشكال العصبية الجاهلية . وقد تبتديءُ بدائرة ، إلا أنها تمتد مع امتداد الدعوة ، وتمضي بمضيها . هي حق لكل مسلم ، وواجب على كل مسلم .

والقضية الثانية : هي أن هذه الرابطة لاتقف عند حدود الشعور والعواطف ، ولاتنحصر في إطار الشعارات والواجهات . ولكنها رابطة تحمل الشعار الحق ، والعاطفة الصادقة ، وتحمل كذلك مسئوليات وواجبات ...! إنها تحمل الممارسة الواعية ، والجهد الأمين ! ذلك كله يقوم على صدق الإيمان ، وقوة العلم ! والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تحدد هذه المسئوليات والواجبات من خلال عقيدة التوحيد ، ونهج الإيمان . وبغير الإيمان وبغير العلم لايمكن ممارستها ممارسة إيمانية .

والقضية الثالثة : هي أن هذه الرابطة الإيمانية لاتتعارض مع سائر الروابط التي حددها الإسلام : كروابط الأسرة ، والرحم ، والجوار ! إن رابطة أُخوةً الإسلام تغذّي هذه الروابط الإيمانية كلها ، وتتغذّى بها ، تقوّيها وتقوى بها ، في إطار متناسق متكامل في منهاج رباني . ولقد عرضنا في كتابنا : (**دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية**) تناسقَ هذه الروابط وتكاملَها في إطار الإيمان وأخوة الإيمان .

من هذه القضايا الثلاث ، نستطيع أن نلاحظ بيسر مدى اضطراب هذه الرابطة في واقع المسلمين اليوم . فهي كثيراً ماتكون في إطار عاطفي مجرد من الأمانة

والمسئولية ، خال من الجهد والعطاء . أو تنغلق في إطار إقليمي أو حزبي ينقطع فيه الامتداد ، وتطغى فيه العصبية ، أو تتمزق تحت ضربات المصالح المتصارعة ، والأهواء الثائرة ، أو تموت في سموم محاولات الأعداء ومؤامراتهم الماضية بين جهل وعجز ، وهوى وهوان .

فإذا لم تأخذ هذه الأخوّة صورتها الإيمانية الحقيقية النابعة من منهاج الله آيات وأحاديث ، فإن سائر خصائص لقاء المؤمنين ستظل مهزوزة مضطربة . وإن كل محاولات اللقاء ، وجهود العاملين ستضيع في أمواج هائجة ، وظلمة عاتية .

ولاتستطيع هذه الرابطة أن تأخذ صورتها الحقيقية إلا في جو من التدريب العلمي المنهجي ، في مدرسة الإسلام - **مدرسة لقاء المؤمنين**- . في جو التعهد والإعداد الذي لايقف عند حد النظريات ، ولكنه يمتد إلى الممارسة التي تتعهدها المراقبة والتوجيه ، والنصح والتذكير . وذلك كله من خلال منهاج الله الذي يجمع القاعدة والممارسة ، والمراقبة والتذكير ، والنصح والتوجيه والتعاون ، وسائر الأسس والقواعد ، في تكامل وتناسق . ويمضي التدريب من خلال منهاج الله تدريباً عملياً ، تقوده القدوة الأمينة ، والنموذج الصادق . وإذا فقدت القدوة في مرحلة ، فإن النبوة في جميع الحالات تظل أساس القدوة ، وغاية الصحبة ، وعظمة الممارسة ، والنموذج الأمثل .

في واقعنا اليوم اضطراب وتمزيق لهذه الرابطة . ولقد امتد هذا الاضطراب والتمزيق إلى أجواء التربية والإعداد ، وإلى ساحة القوانين والأحكام ، وإلى ميدان التجارة والاجتماع ، ومضى الامتداد عبر سنين طويلة ، حتى دخل نفوساً وقلوباً ، فهز العقيدة ، وزعزع التصور ، وشوّه الممارسة .

وحين يعمل الإيمان الصادق لبناء هذه الرابطة في أجواء التدريب والتعهد ، فإنه يحافظ على الموازنة الأمينة ، والميزان العادل ، بينها وبين سائر الروابط ، بينها وبين سائر الممارسات . فبدون هذه الموازنة القائمة على إيمان وعلم ورعاية ، قد تطغى رابطة على رابطة ، أو تكليف على تكليف .

وهذه الموازنة يحتاجها المؤمن في ممارسته الإيمانية كلها . إنها تظل مسئولية كل مؤمن ، وهو يمارس إيمانه في شتى الميادين . إنها تظل مسئوليته هو نفسه ، ليقوم بهذه الموازنة في مجال أمانته ومسئوليته ، ووسعه وطاقته ، حيث لايستطيع أن يعود في كل أمر ، وفي كل خطوة ، ومع كل ممارسة ، إلى فتوى من هنا وهناك ...!

إنها الموازنة التي لايستطيع أن يسقطها أي مؤمن ، وهو يمارس إيمانه في بيته ، مع زوجه وأولاده ، إعداداً وتربية ورعاية ، ومع إخوانه ، أخوة وحناناً ، ومع حيِّه جواراً وتعاوناً ، وفي وظيفته أمانة وصدقاً ، ومع أمته عطاء ووفاء . إنها الموازنة التي لايقوى المؤمن عليها إلا إذا صدق إيمانه وصدق علمه ، إلا إذا صدق علمه في منهاج الله ، وعلمه في واقعه الذي يمارس إيمانه فيه ، على قدر وسعه ، وفي حدود مسئوليته وأمانته .

في واقعنا اليوم اضطراب واسع ، وخلل كبير في ممارسة أُخوَّة الإسلام في تصورها ، في مسئولياتها . ونستطيع ، إذا صدقت نفوسنا ، أن ندرك خطورة هذا الاضطراب والخلل ، ونحن نستعرض الأخوة الإيمانية ، وحدودها وتكاليفها في منهاج الله ، على تناسق وتكامل ...!

وبصورة عامة فإن هذه الرابطة الكريمة ، يجب أن تحمل في واقع المؤمنين خصائصها الربانية كما حددها منهاج الله ، وأن تمارس في الواقع البشري ممارسة إيمانية متناسقة ، تحمل معها جميع خصائص الممارسة الإيمانية أو **(العمل الصالح)** كما يسميها القرآن الكريم . وسنعرض خصائص الممارسة الإيمانية في فصل مقبل. ولقد سبق أن عرضنا في كتاب : **(دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية)** الآيات والأحاديث عن الأخوَّة في الله . وعرضنا لمحات من خصائص الممارسة الإيمانية أو (العمل الصالح) في كتاب : **(ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية)** فيمكن الرجوع إليهما .

ونود أن نلخص ماعرضناه هنا في نقاط محددة :

١ - إن أُخوَّة الإيمان أمر من عند الله يربط المؤمنين ، كل المؤمنين ، في إطار العقيدة والإيمان ، وفي جميع حالات الرضا والغضب ، والأُلفة والخلاف . إنها لاتنحصر في تكتل محدود ، أو تجمع مجزوء .

٢ - إن هذه الأخوَّة أمانة ومسئولية وواجبات والتزام ، وجهد وبذل ، وليست مجرد شعار أو عاطفة تخلو من المسئولية والالتزام .

٣ - إن منهاج الله حدد المسئوليات والواجبات ، وفصلها تفصيلاً .

٤ - إن ممارسة الأخوة في الله تحتاج إلى صفاء في الإيمان ، وإلى قوة في العلم ، وإلى تدريب وإعداد ، وتوجيه ومراقبة ، ينبع ذلك كله من منهاج الله .

٥ - تتعذر ممارسة الأخوة في الله دون ممارسة سائر قواعد الإيمان فهي لاتُؤْخذ قضية معزولة عن منهاج الله ، ولكنها تتناسق معه وتتكامل .

٦ - إن هذه الرابطة الكريمة لاتتعارض مع سائر الروابط التي أقرها الإسلام ، ولكنها كلها تتناسق في عقيدة وإيمان .

٧ - إن أشدّ ما يمزق هذه الرابطة : الغيبة والنميمة والظن والافتراء . إن هذه العوامل تمزق الرابطة تمزيقاً مباشراً . ولكن اضطراب أي قاعدة إيمانية يؤثر في اضطراب هذه الرابطة تأثيراً مباشراً أو غير مباشر .

٨ - إن رعاية هذه الرابطة هي مسئولية : الفرد المؤمن ، والجماعة المؤمنة ، والعلماء ، ودور العلم ، والمنهاج والأساليب التربوية . إنها مسئولية الدعوة الإسلامية ، حين تنقلها إلى القلوب بكل صفائها وصدقها . فلا تتحول إلى أخوة إقليم ، أو حزب ، أو قومية ، أو طائفة .

٩ - تؤخذ هذه الرابطة بكل تصوراتها ومسئولياتها من منهاج الله وحده ، من خلال مصاحبة كريمة له ، مصاحبة دائمة مع العمر لاتنقطع ، مصاحبة منهجية.

ومن هذه النقاط يتضح لنا خطورة هذا الموضوع ، وأهمية سلامة تصوره في ميدان العمل الإسلامي : فكراً ، وتصوراً ، إيماناً وشعوراً ، ممارسة وعملاً . ولذلك نلاحظ أن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة في صورة حملت أجمل إشراقها فكراً ، وإيماناً ، وممارسة . وظل الإسلام يرعاها رعاية قوية حتى استقرت أقوى استقرار في النفوس ، وثبتت في القلوب . وعند ذلك تابع الإسلام رعايته لها ، لينسق بينها وبين سائر الروابط ، تنسيقاً ربانياً معجزاً . فكانت الآية في آخر سورة الأنفال تنسق بين هذه الأُخوة وبين صلة الأرحام :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾ [الأنفال: ٧٥]

فكان الميراث أحد هذه الجوانب التي انحصرت في الأرحام ، وفُصِّلَتْ في سورة النساء وفي أحاديث الرسول ﷺ . وتابع منهاج الله يرعى الرحم على تناسق متين بينه وبين أخوّة الإيمان ، لتكون وشائج الإسلام كلها نامية مترابطة .

ومضت رعاية منهاج الله لرابطة الأخوّة ، قوية مع الوحي الذي يتنزل في فترة حياة الرسول ﷺ. فإذا كانت سورة الأنفال التي تدور حول غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، رعت الولاية بين المؤمنين في أجواء البذل والجهاد ، فإن سورة التوبة كانت من آخر مانزل من السور ، تابعت رعاية الأخوة لتكون هي رابطة المؤمنين ، يتجاوزون بها أحقاد الماضي ، وسنين العداء حين كان فريق لّما يؤمن بعد ...!

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) ﴾ [التوبة: ١١]

ولقد وردت هذه الآية الكريمة بعد البراءة من العهود مع المشركين - إلا ماحددت السورة الكريمة - وبعد إعلان الحرب العامة على المشركين على قواعد الإيمان . في هذه الأجواء العاصفة ، يذوب العداء وتُمْحَى الكراهية ، ويغيب

الماضي ، في إشراقة أخوة الإيمان ، أخوّة الدين ، تحوطها التوبة ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ..!

«**فإخوانكم في الدين ...**» هو رباط المؤمنين ...!

واليوم ...! تتمزق هذه الأخوة بين المسلمين لأوهى خلاف في الرأي ، وأدنى عرض من الدنيا . فتُنْهَشُ الأعراض ، ولا يشعر أحد بحرمة ، وتضيع الأموال ولايشعر المسلم بحرمة ، وتستحل الدماء ولايهتز إيمان .. ! هذا كله في أجواء تنتسب إلى الإسلام ، أخذت اللمم فعظمت شأنه ، وتركت الكبائر وقللت من خطرها . يغذّي أعداء الله هذا الهوان بكل الوسائل ، ويسلكون لتحقيقه كل الأسباب . ولكن اللوم الأول ، والمسئولية الكبرى ، تقع على المسلمين أنفسهم ، حين هانت عزائمهم ، وارتخت قواهم ، وغلبتهم الفتنة .

ولانرى باباً أوسع في حياة المسلمين لهوان عزيمة وقوة ، وغلبة فتنة وهوى ، من الجهل ...! الجهل بمنهاج الله ، والجهل بالواقع الذي يدورون فيه ، جهلاً خلط الأمور أمام العيون ، فاضطربت الرؤية ودلف الشيطان ، وانحسر أثر القرآن ، حتى لم يعد هو النبع الصافي الذي ترتوي منه النفوس ، وتحيا به القلوب .

لم يعد منهاج الله أكثر من شعار يرفعه الكثيرون ، فلا هو يحدد نهج حياة الفرد والأمة ، ولا هو يعالج أمراض الجماعة والحركة . لقد ظل طويلاً على شفاه جفّت بالجهل والهوى ، فجفت النفوس ، والقلوب . وبذلك ضعف الجهد البشري ، وتعطلت الطاقات ، وانحرف الناس . وبذلك لم يعد يقوى المجتمع الإسلامي على أداء الأمانة ، والوفاء بحق الاستخلاف ، والصبر في الابتلاء ، والنجاة عند التمحيص .

فتنة عمياء ..! وجهالة جهلاء ..! عرفنا أول أسبابها ، فلابد أن نعرف أصدق علاج لها ... من منهاج الله ...!

* * * * *

الفصل الثاني
خصائص لقاء المؤمنين

لقد عرفنا طبيعة لقاء المؤمنين والرابطة التي يلتقون عليها . وعرضنا ذلك من منهاج الله ، متحرّين في ذلك الدقة قدر الجهد ، ويظل منهاج الله وحده هو المعين الذي يعود إليه المؤمن ليعرف طبيعة هذا اللقاء وطبيعة هذه الرابطة ، بصورتيهما الواسعتين المتكاملتين . وما هدف هذا البحث إلا النصح والتذكير من خلال قبسات نأخذها من كتاب الله ، أو ملامح نعرضها من سنة رسول الله ﷺ ، ليستقيم النهج ، ويصح السبيل ، فلا ندخل في متاهات التصورات البشرية المتضاربة ، التصورات المتفلّتة عن منهاج الله ، البعيدة عن نور القرآن وهدى السنة . ونسأل الله العفو والعافية ، والحماية من الزلل . ونسأله المغفرة ونتوب إليه .

ولقاء المؤمنين لقاء متميز فريد . لقاء متميز عبر التاريخ كله ، ظل يحمل خصائصه الثابتة ، وإشراقه المضيء . إنه لقاء رباني فخصائصه ربّانية ، لايضعها أحد من البشر ، ولاتكون نتاج عبقرية بشرية فذة ، ولاثمرة جهد مفكر مبدع ، ولا حصيلة مصلح اجتماعي . إنها قواعد ربانية نزل بها الوحي الأمين على الأنبياء والمرسلين ، خاتمهم محمد ﷺ .

ونحاول الآن أن نعرض أهم خصائص لقاء المؤمنين ، تلك الخصائص التي نتلمسها في كتاب الله ، ليلتقي عليها المؤمنون ، لقاء يحقق الأهداف المحدّدة له ، والغاية المرجوة منه . وبدون هذه الخصائص لايكون هنالك لقاء للمؤمنين مهما خفقت الرايات ، وازدهت الشعارات ، وحميت الهتافات ..!

١ - الإيمان :

يتميز لقاء المؤمنين بأنه يلتقي على إيمان مشرق . إيمان بيِّن واضح . قول فصل لاهزل فيه ، وبيان لاغموض معه . وهذا الإيمان جعله الله في فطرة بني آدم ، وجعل في الكون آيات بينات تدل عليه ، وبعث الرسل منذرين ومبشرين ، وجعل

للإنسان السمع والبصر والفؤاد وسائر ما وهبه الله من قدرة ووسع ، ليتلقى البرهان من الآيات حوله وفي نفسه ، ومن الرسل والأنبياء . وأنزل الكتب وحياً على عباده المرسلين . وكان محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وكان القرآن كتاب الله المعجز ، مهيمناً على ماسبقه من الكتب ، ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب .

ومحور الإيمان كله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . عبودية مطلقة لله رب العالمين ، هو كما وصف نفسه ، له الأسماء الحسنى ، وله الأمر كله.

وسنعرض في فصل مقبل ملامح الإيمان كما ورد في منهاج الله . ولكننا هنا نحب أن نؤكد أن الإيمان هو محور خصائص لقاء المؤمنين . والإيمان ليس لفظة يدور بها اللسان ، ولا كتاباً بشرياً تُملأ به الصفحات ، وتُنمَّق فيه الجمل ... إنما الإيمان شعور وإحساس وعاطفة تملأ النفس كلها ، مهما كان تعريف لفظة النفس ، وهو فكر وتصور يملأ عقل الإنسان ولبّه مهما كان تعريف العقل ، وهو يقين يستقر في القلب ، فيدفع هذا الشعور والفكر واليقين في الإنسان إلى بذل وعمل وجهد على قدر ما وهبه الله من وسع وطاقة ، وعلى صراط مستقيم ...!

فإذا هو خلق وسلوك ، ويقظة وحركة ، وجهد وجهاد ، وبذل وعطاء ، وعمل صالح يخضع في أمره كله لمنهاج الله ، في الرضاء والغضب ، في العسر واليسر ، في المنشط والمكره ...!

ولايتحول الإيمان إلى فلسفة وجدل ومراء . إنه يضبط الهوى ويلجمه ، وينظم الرغبة ويطهرها ، ويقوِّم الفطرة وينقيها .

والإيمان أعظم نعم الله على عبده . جعلها في فطرته وهيَّأ لها كل أسباب النمو ، وجعل القرآن الكريم نوراً وهداية وشفاء ، وجعله برهاناً .

وحتى يحفظ المؤمن إيمانه ، فلا يملك إلا أن يصاحب منهاج الله صحبة عمر وحياة ، وليل ونهار ، وإقامة وسفر ، وعافية ومرض ، وغنى وفقر . فمنهاج الله

هو الذي يمد الفطرة بكل أسباب النماء السويّ ، ويفتح لها كل أبواب الخير ومنافذ النور . فإذا العبادة ، والتوبة ، والاستغفار ، والدعاء ، والصدقة ، والكلمة الطيبة ، وكظم الغيظ ، والتأمّل والتدبّر ، والنظر في السموات والأرض ، وفي النفس وأجوائها ، وفي المخلوقات كلها ، وإذا العمل الصالح كله ... ، وإذا هذا كله وكثير غيره ، زاد مبارك من منهاج الله ، يغذي الإيمان وينميه ، ويصونه ويقويه ، بمشيئة الله وحده ، ورحمته وعفوه ...!

ويزيد من هذا الخير ، لقاء المؤمنين بكل خصائصه ومميزاته ، في أجواء العمل والممارسة ، والصدق والتناصح ، والبر والتعاون ، بين خطأ وصواب ، وزلة وتوبة ، حتى يكاد الخطأ يصبح مدرسة تُقَوِّم ، وخيراً يُقَوِّي ، في أنداء الجماعة المؤمنة ، وظلال الأمة العاملة ، والصف المرصوص .

وقد تتوافر عوامل أخرى تغذّي الإيمان وتنميه ، ويكون لها خيراً وبركة . ولكن كل هذه العوامل الأخرى يضعف أثرها ، وتقل بركتها إذا توقف العاملان الأولان: صحبة منهاج الله ، ولقاء المؤمنين . فبدون هذين العاملين تتعطل العوامل الأخرى ، ويبهت النور ، وينحسر الخير . كيف لا ... ؟ ولقاء المؤمنين أول ثمار الإيمان ، وأخوة الإيمان رابطته ، وأخوة الإيمان جزء من الإيمان .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه**) . (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي) .

فارتبطت أخوة الإسلام بالإيمان رباط عقيدة ودين ...!

هذا الإيمان يحتاج إلى رعاية وصون . وهي مسئولية الدعاة ، والعلماء ، والأسرة ، والوالدين ، والمعاهد والجامعات ، وأولي الأمر . وهي مسئولية المؤمن نفسه . لايُقْبَلُ عذرٌ في كفر لأحد أبداً مهما كانت الظروف أو تبدلت الأحوال ، ومهما عظمت الفتنة واشتد البلاء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨] .

فالمسئولية تبتديء بالمؤمن نفسه . ولابد أن يعي المؤمن هذه الحقيقة التي أخذت تغيب عن قلوب الكثيرين ، في طيات الفلسفة وحمى الجدال ، وهياج الفتن . لابد أن يعي المؤمن أنه هو المسئول عن هذه القضية أولاً . وهو الذي سيحاسَب عليها بين يدي الله فرداً . لايغني عنه أحد ، ولايغني عنه وليٌّ من البشر ...!

فلا بد من إيقاظ هذا الشعور الغافي ليتناسق مع سائر المسئوليات ، حتى تتناسق مسئولية الفرد ، ومسئولية الأسرة ، ومسئولية العالم ، ومسئولية الجماعة .. تناسقاً وتكاملاً من خلال المنهاج الربانيّ ، فلا تطغى واحدة على الأخرى . إنما هو توازن وتناسق . عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال :

« ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم ، والمرأة على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . (رواه مسلم)[1]

والإيمان ممتد مع الإنسان في كل جوانب الحياة ، امتداداً ينبع من التوحيد ، ينبع من الإيمان بالغيب ، ثم يمتد مع كل نشاط ، وكل خلجة ، وكل خطوة ، وكل معترك ، وتنهض التكاليف على أساس من ذلك . فلا تنحصر تكاليف الإيمان عند حدود الصلاة والصوم والزكاة ، ولكنها تمتد إلى حياة الفرد وخلجاته ، إلى علاقته مع جاره ، إلى بيته وأسرته ، إلى أمته ودعوته ...! تمتد إلى التجارة والاقتصاد ، إلى السياسة والاجتماع ، إلى الحرب والقتال ...!

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) ﴾ [النساء: ٣٦]

---

(١) صحيح مسلم : ٣٣/ ٥/ ١٨٢٩ .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]

وتمضي الآيات والأحاديث تعرض لنا امتداد الإيمان في شتى الميادين ، ولا نستطيع هنا أكثر من أن نورد قبسات . فإلى منهاج الله في صحبة مباركة ، لنرى الامتداد الواسع مع كل حركة من حركات الإنسان :

ابتداء من خلجات نفسه وخفقات صدره ...

إلى أهله وولده ...

إلى رحمه وأقربائه ...

إلى والديه ....

إلى جاره وصاحبه ...

إلى بلده وقطره ...

إلى أمته ...

إلى الإنسان كله ...

وكذلك يمتد الإيمان مع الإنسان في علاقته :

مع صديقه أو عدوه ...

مع مؤمن أو كافر ...

مع مهذب أو فاجر .

فالإسلام يعلم المؤمن كيف يتحرك مع كل هؤلاء ، مع كل الظروف ، مع كل الناس . إنه منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - .

ويمكن أن نستفيض في عرض خصائص الإيمان وأماراته وميادينه ، ولكن منهاج الله هو المصدر الوحيد الذي يستوفي عرض ذلك كله ، استيفاء كاملاً متناسقاً ، ويظل الجهد البشريّ يعرض قبسات ولمحات ، ليذكّر وينصح ، حتى تعود القلوب إلى النبع الصافي ، والمصدر الأساسي ، منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - وبدون هذه العودة الصادقة ، لن يستطيع أحد استيفاء ذلك كله ...!

وقد أوجز حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم عن بيان الإسلام والإيمان والإحسان : «**بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولايعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبيّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يامحمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت ملياً . ثم قال لي : ياعمر ، أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**) .

ومن هذا الحديث النبوي العظيم نتعلم مع كل كلمة دروساً . ونُحِبُّ أن نؤكد أن من بين أهم الدروس ناحيتين :

الأولى : تناسق وترابط الإسلام والإيمان والإحسان .

والثانية : أن الأمر ليس شعاراً يطرح ولا كلمات تدور فحسب ، وإنما هو جهد وبذل ومجاهدة النفس . إنه طاعة وعبادة ، وانظر إلى هذا التعبير الجامع : (**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** ...) .

٢ - لقاء علم وعمل :

إن من أول ثمار الإيمان العلم ، والإيمان يدفع إلى العلم ويغذيه ، والعلم يُنَمِّي الإيمان ويقويه بمشيئة الله ، لمن أراد الله به خيراً ، ولا ينهض لقاء للمؤمنين على جهل . فإن الجهل يثير الهوى ، وينمي الشهوة ، ويفلت الرغبات .

والعلم للمؤمن حاجة ملحة ، وفريضة قائمة ، وضرورة لاغناء عنها ، وهو قوة في الإيمان وقوة للمؤمنين ، ونعمة من الله رب العالمين ، ولكن يأخذ المؤمن من العلم قدر وسعه الذي وهبه الله له .

والعلم الذي نعنيه هنا ، كما سنرى بعد قليل ، يقوم أساساً على العلم بمنهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - وكما رأينا سابقاً فإن منهاج الله هدى ونور وشفاء .

وهو خاص بكل فرد مؤمن ، ومسئولية كل فرد مؤمن ، لايغني أحد عن أحد شيئاً ، وإنما يأخذ كل مؤمن قدر وسعه وطاقته ، وقدر مسئوليته وأمانته .

ومن اللحظة الأولى التي انطلقت فيها دعوة الله في شعاب مكة المكرمة ، وحياً يتنزّل على محمد ﷺ ، من اللحظة التي تنزّل بها الوحي ، كان الأمر بالعلم ، الأمر بالقراءة ، الأمر بالقراءة باسم الله ، الذي خلق الإنسان ، خلقه من علق . لقد بدأ العلم ، وبدأت النبوّة تتلقى العلم اليقينيّ ، لاستنهاض الهمة إلى العمل ، ليمضيا معاً :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١ - ٥]

وكذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر: ١ - ٧]

وكذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ [المزمل: ١ - ٦]

أي هذه الآيات أو السور نزل أولاً ... ؟ إنها قضية لاتعطل إيماناً ولاتنقص علماً ، ولا تُسوِّغ كسلاً وتوانياً .

إن الذي يهمنا أن سورة العلق أحاطت (القراءة والعلم) بأنوار الوحي ، وأمر الله ، وبركة الله ، حتى أصبح العلم من أهم خصائص الأمة المؤمنة الواحدة إلى يوم الدين . بدأت دعوة الله بهذا النص المبارك ليمضي في كل الأرض ، وكل الأزمان ، يحمل بركة العلم ، ولكنه ليس أي علم . إنه العلم الذي من عند الله . إنه هو أساس العلم ، وهو جوهره ، وهو حقيقته ، وأي علم مما يضعه الناس بعد ذلك ، نتيجة بحث وتجارب ، ودراسة وتأمل ، هو علم إذا قام على أساس الإيمان بالله ، وعلى أساس العلم بمنهاج الله ، وبغير هذين الأمرين يتحول مايسميه الناس علماً إلى فساد وفتنة ، وتدمير وهلاك ... !

وسورة المدثر دفعت إلى الحركة الفورية والعمل المباشر بآيات قصيرة ، متتالية سريعة ، توحي باستنهاض العزيمة ، وعدم التواني والاسترخاء . إنها طرقات سريعة تحمل أهمية العمل والحركة ومضيَّ الإنطلاق ، وكذلك فإنها تحمل معها أهم خصائص العمل بعد الإيمان والعلم :

لقد حددت العمل وخصائصه :

(قم فأنذر ..

وربك فكبر ...

وثيابك فطهر ...

والرجز فاهجر ...

ولاتمنن تستكثر ...

ولربك فاصبر) .

إنها حقاً أهم خصائص العمل الإيماني في إطارها العام الواسع . إنه الإيمان وتكبير الله سبحانه وتعالى وتلقّي الوحي والعلم . وإنه الطهر . الطهر في كل شيء : الطهر في الثياب ، والطهر في الجسم ، والطهر في القلب ، والطهر في النفس ، والطهر في الكلمة ... ، والخطوة .... ، والنية . «**والرجز فاهجر ..**» . إنه العمل الذي لايتبعه منٌ واستكثار . وإنه الصبر لله .

وسورة المزمل ...! ركزت على نوع من العمل يضم في ثناياه كل العمل الآخر . إنه قيام الليل ، وترتيل القرآن ، وتلقي الوحي ، وذكر الله والتبتل إليه ، والصبر على مايقولون . فلقد مضى رسول الله ﷺ في دعوة الله ، وبدأ أهل الكفر يقولون ويصدون . وانطلقت الدعوة : إيماناً وعلماً وعملاً ، يحف ذلك الملائكة ، ويندبه الوحي ، ويرعاه الله .

فلقاء المؤمنين ليس لقاء متعة عابرة ، أو ندوة ماضية ، أو فرصة واتت ، أو أمزجة انسجمت ، ومصالح دنيويه التقت ، أو تكتلات تحت شعارات ...! إنه لقاء أمة ، في رابطة واحدة ، ودعوة واحدة ، ممتدة في الأرض والزمن ، والجهد والعمل . إنه لقاء على علم عظيم ، ووعي عظيم ، ويقظة متفتحة ، على طهر ونقاء ، وصبر وابتلاء ، وصيام وقيام ، وترتيل للقرآن ، وجهاد ماض إلى يوم القيامة .

وإذا كانت سورة العلق حفت العلم ببركة من عند الله ، وسورة المدثر حددت

العمل والمهمة، وأبانت خصائصه وطبيعته، فإن سورة المزمل رسمت خطوط الإعداد والبناء، والتربية والتدريب، والخطة والنهج، والغاية والهدف، في أجواء الممارسة والعمل، والسعي والجهاد. وختمت سورة المزمل لتجمع ذلك كله بإعجاز رباني:

﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٢٠) ﴾ [المزمل: ٢٠].

وأخذ الوحي يتنزل يرعى التربية والإعداد، والتكوين والبناء، والدعوة والجهاد، والبذل والعطاء، يمتد ويتسع، وتمتد الآيات وتتسع حتى أكمل الله الدين وأتم نعمته.

ويمضي منهاج الله - **قرآناً وسنّة ولغة عربية** - يقدم العلم الحق، ويَرْسُمُ خطوات العمل، وأساليبه، ومراحله، وأجواءه، للأجيال كلها، يدفعها إليه ويرعاها عليه، حتى لاتقف وتتعطل، أو تني فتلهو، أو تتخاذل فتستخذي.

وكلمة (العلم) شائعة بين الناس، وهي تحمل معها ظلالها في كل جيل ومع كل عصر، ولكن ظلال الإيمان الممتدة لهذه الكلمة، تظل هي ظلال الإيمان مهما خرج من أفيائها الناس، أو تجاهلها الغافلون. ونحاول أن نوضح هذه الظلال:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة، وما سوى ذلك فهو فضل** ».

(رواه أبو داود وابن ماجه)

فهذا هو الأساس في العلم . إنه منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - إنه العلم الحق اليقيني تَنَزَّلَ من عند الله ، وهو وحده فقط العلم الحق اليقيني ، وما عداه فهو فضل ، واللغة العربية والعلم بها يصبح جزءاً أساسياً من منهاج الله .

وقد أمر الإسلام عباد الله بالسعي ، والتدبُّر ، والتفكر ، والنظر في آيات الله المبثوثة في الكون ، وسهّل الله على الإنسان أمر المضي في هذا السبيل ليكون عوناً له في نمو إيمانه ، وثبات يقينه ، وصدق جهاده . ومن خلال هذا السعي والتأمل والتفكر والتدبر ، وما يصاحبه من بحث وجهد ، يجمع الإنسان طائفة من سنن الله في الكون ، بالقدر الذي يأذن به الله ويشاؤه . ويُبْقي هذا العلم المجتمع نامياً متطوراً ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فإذا انفصل هذا العلم النامي المتطور عن العلم بمنهاج الله ، تحول عاجلاً أو آجلاً إلى فساد وشر . أما إذا ارتبط بدعوة الله ، واتصل بالإيمان ، وانطلق من منهاج الله ، فإنه خير وبركة ، ونعمة ورحمة . والإنسان هو الذي يبدّل النعمة كفراً ويحل نفسه وقومه دار البوار .

وهذا العلم البشري النامي المتطور ، يشمل ميادين الحياة كلها ، وآفاقها كلها . إنه يمثّل دراسة الواقع البشري ، والحياة البشرية ، في مختلف أوجه نشاطها ، وهو حاجة للمؤمنين ليحقق هدفين رئيسين :

أولاً : أن يكون عبادة لله وطاعة وسبباً من أسباب التأمل والتدبر في آيات الله، ليزداد الإيمان واليقين ، وصورة من الممارسة الإيمانية ، وصورة من أداء الأمانة والاستخلاف في الأرض .

ثانياً : أن يكون مصدر قوة للمؤمنين ، ليجمعوا به مايستطيعون من قوة ومن رباط الخيل ، يدافعون به عن أمة الإسلام ودين الله ، وينصرون به كلمة الله في الأرض .

ومن هذين العاملين يصبح هذا العلم وسيلة لرفع الغفلة ، ومساعداً لرسم الخطة وتحديد النهج ، في واقع لا في خيال ، وفي حقيقة لا في وهم ، وفي الحياة البشرية لا في دنيا الأماني والأحلام .

وعندما تنشأ الأجيال المؤمنة على هذا التصور الإيماني ، تتلقّاه في طفولتها وينمو مع نموها ، فإن أسس التربية والتعليم ، وقواعد البناء والتدريب تتبدل بصورة أساسية ، لتعطي الثمرة الغنية السريعة ، وتفتح المواهب العبقرية المتوثبة. وبدون ذلك تتحطم الجهود ، وتنهار القواعد والأسس ، في حمى الأهواء ، وصراع الرغبات ، وتتطاحن الشهوات ، مهما عظمت الألقاب العلمية والدرجات الجامعية .

وأما العمل فقد رسم خصائصه المنهاج الرباني ، وبيّن ساحاته وميادينه ، مهما ضاقت أو اتسعت . ولانستطيع أن نعرضها هنا في هذه العجالة ، إلا أن كل عمل نابع من الإيمان ، متصل بمنهاج الله ، هو عبادة . ولايصلح في الإسلام عمل لايكون عبادة خالصة لله . ويدور العمل كله في الحياة الدنيا حول محور الجهاد في سبيل الله ، جهاداً ممتداً لايتوقف ، جهاداً في كل ميدان ، في كل الظروف ، في كل الأحوال ، وكما سيلي بعد قليل فإنه ليس عملاً ارتجالياً ، ولكنّه ماض على صراط مستقيم ونهج قويم .

فلقاء المؤمنين إذن ليس لقاء راحة واسترخاء ، ولا لقاء مصالح وشهوات ولا لقاء كسل وتراخ . إنه لقاء على علم وعمل ، ينبع ذلك كله من الإيمان ويرتبط به . إنه لقاء جهاد ماض إلى يوم القيامة ، وبذل يجود به المتقون ، وجزاء يمن به الله على عباده المؤمنين .

ومن خلال لقاء المؤمنين :

في ظلال الإيمان ...

وأنداء العلم ...

وبركة العمل الصالح والممارسة الإيمانية تنهض طاقات المؤمنين لتجمع القوة كلها ، خاشعة لله ، عابدة له ، ترفع كلمة الله في الأرض ، وتسعى إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

وقد اقتضت مشيئة الله أن يعطي آدم عليه السلام ماشاء الله أن يعطيه له من العلم :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١]

فابتدأ العلم من عند الله ... ! وسيظل ماضياً في حياة الإنسان خاضعاً لمشيئة الله ولحكمته ، قائماً على ما أنزله على أنبيائه ورسله ، وعلى ماختم به الرسالة السماوية ، ليكون هذا هو أساس العلم ، وهو الذي يصوغه ، ويدفعه ، وينميه .

ثم يبين منهاج الله امتداد العلم في الكون ، العلم كما عرفناه آنفاً ، ليكون آيات بينات على قدرة الله ، ووحدانيته ، وسائر أسمائه الحسنى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾

[فاطر: ٢٧، ٢٨]

فالمطر والزرع ، والثمار ، والجبال ، والناس ، والدواب ، والأنعام ، علم واسع ممتد ، وآيات تزرع الخشية في قلوب العلماء ، وهم ينهضون لأبواب العلم هذه ، نهضة قائمة على إيمان وعلم بمنهاج الله .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) ﴾ [القصص: ٨٠]

ففي هذه الآية الكريمة ، كما في سائر الآيات ، بيان وإعجاز . وانظر إلى هذا

التعبير القرآني : (**وقال الذين أوتوا العلم وَيْلَكُمْ ...**) . لقد فُتنَ الناس بقارون ... إلا الذين أوتوا العلم ...! فما هو العلم ... ما هو الذي حفظ هؤلاء من الفتنة :

إنه اليقين الثابت بالله ...

والعلم النابع من هذا اليقين بما أنزل الله ...!

والعمل الصالح المرتبط بذلك كله ... ، المرتبط بالإيمان والعلم ...!

والصبر على مايلقاه الإنسان من ابتلاء ...!

ولقد جمعت الآية الكريمة هذا كله جمعاً ربانياً معجزاً . وربطت العلم بذلك كله ربطاً محكماً ...! (**لمن آمن وعمل صالحاً ولايلقاها إلا الصابرون**) . ويظل المؤمنون يتعلمون من هذه الآيات علماً متجدداً ، وظلالاً ممتدة ، حتى تقوم الساعة...!

وآية أخرى :

﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم: ٥٦]

فارتبط هنا العلم بالإيمان وتحددت معالمه ...!

وآية أخرى :

﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴿٤٩﴾ ﴾

[العنكبوت: ٤٩]

بل هو آيات بينات ...! إنه الكتاب الذي أُنزل من عند الله ليكون آيات بينات ، وليكون علماً في صدور المؤمنين ، فالآية قبلها :

﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴿٤٨﴾ ﴾

[العنكبوت: ٤٨]

ولقد حمل القرآن الكريم على اليهود لا لأنهم لايعلمون الفلك والتاريخ والاقتصاد والمكر والسياسة ... ، ولكن لأنهم كانوا لايعلمون الكتاب الذي أُنزل من عند الله . فصار علمهم بأي أمر من أمور الدنيا إفساداً وشراً :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨]

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة: ١٠١]

ومثل هذا الجهل ، إذا تفشّى في قوم ، نشر بينهم الشرور ، وغذّى الفتنة ، وقاد إلى الشرك ، في مظاهره المختلفة .

ولما تفشّى الجهل في بني إسرائيل ، وكذلك في النصارى ، وانحصر العلم في طائفة ، سمّها ماشئت من أحبار ورهبان ، استسلم الجاهلون لهم . فحرّف الأحبار والرهبان كتاب الله ، وكتموا من العلم ماشاءوا ، وبينوا ماشاءوا ، وأكلوا أموال الناس بالباطل ، وكنزوا الذهب والفضة ، وعم الفساد ، وأخذوا العرض الزائل ... ولنستمع إلى آيات الله .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤]

فإذا كان مآل اليهود والنصارى على هذا النحو حين تركوا العلم بما أنزل الله ، وانحصر في فئة ضيقة ، استغلت مع الأيام مركزها فحرفت ، وكتمت ، وأكلت

حراماً .... فهو حال لاينحصر بهم وحدهم . ولكنه يعم كل قوم يعملون عملهم مهما كانت الشعارات والرايات .

والمسلمون اليوم ، يكاد ينحصر العلم فيهم في فئة محدودة ، حين ابتعد المسلمون عن منهاج الله ، تحت خدر وأعذار . وانطلقت المواهب إلى علوم الدنيا مجردة من العلم بمنهاج الله .

ولكن الله سبحانه وتعالى مَنَّ على هذه الأمة بأن جعل لها في كل عصر صوتاً يجهر بالحق ، وعلماء تمسكوا بالكتاب ، مهما زاغ فرقاء ، أو ضلَّ جهلاء . حتى تبقى جذوة العلم قائمة لاتنطفيء أبداً :

﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٢]

ولكن مسيرة الأمة لاتنطلق بقوتها إذا وقف الأمر على هذه الجذوة المباركة . إنما هو العلم الذي يسود وينتشر ، والبركة التي تمتد وتتسع ، حتى يستوعب العلم الذي نعنيه طاقات الأمة ومواهبها ، وقدراتها ووسعها ، فلا ينحصر في فئة ، ولا ينخنق في طائفة ، ولا تعلو طاقات محدودة ، ومواهب مكدودة .

لقاء المؤمنين يتميز بالعلم الذي ينّمي المواهب في الأمة ويستوعبها فلا تنفلت في ظلام وتتبعثر في متاهات . لقاء المؤمنين يتميز بالعلم الممتد ، والعمل الناهض ، والجهد المتكامل .

ويمكن أن نضع العلم في أبواب كبيرة جامعة للتوضيح على الأسس السابقة :

١ - **العلم بمنهاج الله قرآناً وسنة** ، يأخذ منه كل مؤمن قدر وسعه وطاقته ، وقدر مسئوليته وأمانته ، صحبة عمر وحياة ، أخذاً منهجياً واعياً . وهو مسئولية المؤمن المكلف شرعاً ، يعينه في ذلك العلماء ما وُجدوا ، والمعاهد ما توافرت ، دون أن يعطّل تقصير أي فئة مسئولية المؤمن . وهو علم مرتبط بالعمل والممارسة والتطبيق ، وبالبذل والجهد والسعي ، حتى تستقيم حياة المؤمن

الخاصة والعامة على نهج الله . وهذا العلم يمثل الحق الكامل ، واليقين الثابت . وهو ثابت لكل جيل وعصر ، وكل قوم وجنس .

٢ - **العلم باللغة العربية** . ذلك لأنها لغة منهاج الله . فمنذ أن نزل الوحي لم تعد لغة قوم ، ولكنها لغة دين وعقيدة ، لغة وحي ورسالة ، لغة إيمان وعمل ، لغة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لغة الإنسان . ولايستقيم العلم بمنهاج الله دون معرفة اللغة العربية لتكون لغة المؤمن مهما كان جنسه أو لونه أو أصله .

٣ - **العلم بالواقع** : الواقع الذي يعيشه المؤمن ، ويمارس فيه إيمانه وعقيدته . وستضطرب ممارسة المؤمن لعقيدته إذا كان في غفلة عن الواقع الذي يعيشه . وهذا العلم يأخذ منه كل مؤمن قدر وسعه الصادق وطاقته ، وقدر مسئوليته وأمانته . وهو يبتديء بدائرة صغيرة ، تتسع وتنمو مع نمو المسئولية والأمانة .

٤ - **العلم الذي ينتج عن ممارسة المؤمن لإيمانه في الواقع البشري** : يغذيه منهاج الله، ويوجهه ويرعاه . إنه علم عن الجهد البشري المؤمن في شتّى ميادين الحياة . إنه علم ينتج عن الممارسة والتطبيق ، والتجربة والسعي ، والتأمل والتدبر . وهو علم يحتمل الخطأ والصواب ، ويظل ينمو من خلال الممارسة ليحقق في نموه وتطوره معنى الاستخلاف والأمانة ، ومعنى العبادة والطاعة ، ومعنى الابتلاء والتمحيص . وهو علم يصنع الخير النامي للإنسان ، والبركة العامة بفضل الله . وهو نتاج كل جهد بشري حين يستقر على قواعد يصطلح عليها ، دون أن تمثل حقاً مطلقاً ثابتاً ، ولكنها تظل قابلة للنمو والتطور مع نمو الجهد والممارسة ، مادام ذلك كله متصلاً بمنهاج الله ، نابعاً منه ...!

وهو علم يحمل طبيعة التخصص ، متعدد الأنواع ، متنوع الأبواب ، تتضح ميادينه مادامت الحياة ، ومادامت الأمة حية عاملة . وهو خير وبركة وعبادة وطاعة مادام قائماً على الأسس التي عرضناها . فإذا انفصل عنها تحول إلى شر وفساد .

فينهض كل مؤمن إلى الميدان الذي يعنيه ، والتخصص الذي يقوم عليه ، حتى يملأ هذا العلم بجوانبه المتعددة طاقات الأمة كلها ، ومواهبها كلها ...

فمن خلال هذا العلم والعمل ، في نبعة الإيمان ، وريّ اليقين ، تبرز المواهب الاقتصادية ، والعسكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والعلمية ، والفنية ، والتربوية ، في كل أبواب الاختصاص ، وكل أبواب الحياة ، وأنماط الممارسة ، وميادين الطاعة ، تبرز هذه المواهب كلها ، وقد صاغها منهاج الله إيماناً وعلماً وتدريباً ، عملاً ونهجاً وتهذيباً ... ، لتمارس إيمانها ممارسة إيمانية واعية في عمل صالح واعٍ ، في واقع بشري تعيه وتفهمه ، لتقدم لله طاعة وعبادة ، وتصدق استخلافاً وأمانة ، وتصبر على تمحيص وبلاء . فتقدم للبشرية كلها خيراً وأمناً ، وعدلاً وسلامة ، وللمؤمنين قوة وعزة ، وللدين نصرة وعلاء .

٣ – لقاء ممتد في الأرض والزمن :

لقاء المؤمنين ليس لقاء تحصره أرض محدودة ، أو تخنقه بقعة مسدودة ، ولا ينتهي بزمن أو جيل إنه لقاء امتدت له الأرض كلها ، ممتد في الزمن كله ، حتى تقوم الساعة .

من هذه النظرة الإيمانية ، والوعي الصادق ، تصبح الإقليمية والقومية ، والأجناس ، والألوان ... ، تصبح هذه كلها ، وسائر مايجدد الناس من شعارات ورايات مشابهة ، وأسماء مرادفة ، تصبح كلها ذائبة في ظلال الإيمان والعقيدة ، لتُزيلَ أسباب الفرقة والعدوان والاستكبار . سيظل الناس شعوباً وأقواماً وَسيَظلون أجناساً وألواناً ، دون أن يفقد ذلك حقاً ، أو يكسب ميزة . ويظل الإيمان هو الرابطة ، وهو الجامع ، وهو ميدان التنافس ، وهو سبب التكريم والتميز عند الله .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]

وتقوم الشعوب والقبائل على أرض ، وتبرز في أزمان ، لالتفترق وتستعْلي وتستكبر ، ولا لتستعمر وتحتل وتظلم ، ولكن لتتعارف في ظلال الإيمان بالله

واليوم الآخر، وترتبط في ظلال العقيدة الواحدة، لايعطل ذلك حدود، ولاتفصله أزمنة. وقد أبرز الإسلام هذه الصورة وعرضها من جميع جوانبها، لتستكمل وتبرز.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافّة وختم بي النبيون**».

(رواه الخمسة إلا أبا داود)

وفي رواية البخاري (خمس) بدلاً من ست مع بعض الاختلاف في الرواية، دون أن تتغير أسس الحديث.

وانظر إلى هذا التعبير: (**وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً**) امتداد واسع شمل الأرض كلها.

«**مسجداً** ...» ليمثل مركز لقاء المؤمنين ومحور نشاطهم ومنطلق دعوتهم...! و« **طهوراً**...» حتى يظل المؤمنون مهما امتدوا، ومهما أحاطت بهم الظروف، قائمين بالصلاة على طهر وقوة، وتجمع ولقاء ...!

(**وأرْسِلْتُ إلى الخلق كافة** ...) امتداد الزمان والأجيال ...! امتداد المخلوقات ...! (**وخُتم بيَ النبيون**...) تأكيد لكل امتداد، وقوة لكل لقاء، وجمع لرسالات الأنبياء كلهم. إنه امتداد يظل يجمع الماضي كله، والحاضر كله، والمستقبل كله.

وهذا الامتداد يجب أن يستقر في حس المؤمن وشعوره، وفكره وتصوره، **حتى تذوب عنه كل العصبيات الجاهلية**، وتحيا فيه رابطة الإيمان على هذا النحو من الاتساع والامتداد، والعمق والقوة، فتصبح بذلك مصدر عزة ومنعة، واطمئنان وأمن، وهو يرى هذه الرابطة وحدها هي التي تربطه بأجيال خلت، وأجيال تلت، وتربطه بالواقع الذي يعيشه!

وبهذا الشعور والإحساس ، تبرز معاني الأُمة الإسلامية بكل روابطها وخصائصها وعزتها ، تستمد قوتها من عقيدة وإيمان ، ونهج ومحجة ، وتاريخ ومستقبل ...!

ويظل هذا الامتداد ينمو ويقوى في فكر المؤمن وإحساسه وهو يتدبر آيات القرآن الكريم وأحاديث النبوة الشريفة :

﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...** ﴾ [البقرة: ١٤٣]

«**أمة وسطاً**» على مدار التاريخ ، وشهداء على الناس كلهم والأجناس كلها والأجيال كلها ..! امتداد مع عزة ، واتساع مع قوة .

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)** ﴾ [النساء: ٩٧ - ١٠٠]

ومع أن كتب التفسير تشير إلى أسباب النزول التي تحصرها ببعض من أسلموا في مكة المكرمة وبقوا فيها ، إلا أن دلالتها هي الزمان كله . وانظر إلى هذا التعبير القرآني : «**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**» . إنّها أرض الله وليس أرض قوم أو شعب أو سلطان ، إلا أن يقوم عليها من يؤدي حق الأمانة والاستخلاف . ولم يقبل الله عذراً من أحد إلا ممن حدد من المستضعفين .

وكذلك :

(**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ...**) .

فدافع الهجرة واضح والحوافز بينة . إنها العقيدة الممتدة ، تحرك النشاط الممتد. فلا تنغلق أمامه حدود ، ولا تعوقه سدود . وإنما يشق الأرض شقاً ، داعياً إلى الله ورسوله .

(**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ...**) . إنها الأرض كلها دون حدود ...! إنها كلها ممتدة أمام الداعية ، أمام العقيدة ، أمام الهجرة الصادقة في سبيل الله . إنها ممتدة تفتح الأبواب والنجاة ، وتمهد الطرق والسبل ، وتوفر الحماية والأمن وتهب الرزق والسعة من عند الله . فهذه هي المراغم الكثيرة وهذه هي السعة .

وتلقي الآيات الكريمة ظلال الهوان والضعف للمستكينين ، ظلال الذلة والهوان للقاعدين . حصروا أنفسهم فاستضعفوا وهانوا .

وكذلك تُلقي الآيات الكريمة ظلال النجاة والقوة ، ظلال الأمن والحماية ، ظلال الرزق والسعة ، مع الامتداد والنشاط ، والحركة والاتساع ، والدعوة والصدق ، والهجرة والجهاد .

ومع كل عصر تظل وسائل الامتداد ميسرة ، لايقيدها إلا الإنسان بضعفه واستكانته . وتظل نعمة الله وارفة ممتدة ، تقدم المراغم والسعة ، على تجديد واتساع، ونمو واطراد . وفي عصرنا الحالي ، يسر الله للمؤمنين وسائل جديدة نامية، وسبلاً ممهدة لينة . فمن طائرات وسيارات ، إلى أجهزة اتصال وانتقال ، إلى إعلام وبلاغ . فقربت المسافات ، ولانت المسالك ، وتفتحت الأبواب . ولكنَّ هذه كلها تحتاج إلى قلوب خشعت بالإيمان ، ولانت للحق ، وتفتحت للخير ...!

إلا أن هذا الامتداد لايكون فراراً وهروباً ، ولا لجوءاً لكفر أو فساد ، ولاموالاة لعدو ...! وقد يكون تحرفاً لقتال ، أو تحيزاً إلى فئة .

وعلى أساس من هذا التصور الذي أوجزناه ، يرسم لقاء المؤمنين حركته ، ويضع خطته ، على أساس منهاج الله ، والواقع الذي يعيش فيه . فلا ينغلق على

نفسه حتى يُخنق ويموت ، أو ينحرف وينهار . ولا يتيه على سبل شتى في ضلالة وظلام ، حتى يتمزق ويتقطع ، أو يحطم ويسحق .

ولا يستطيع لقاء المؤمنين أن يمارس هذا الامتداد إذا أخذ هذا التصور معزولاً عن سائر منهاج الله وعن الواقع البشري . شأنه في ذلك شأنه مع سائر قواعد المنهاج الرباني . فهي تؤخذ على تكاملها وتناسقها . فهذا الامتداد ليس عفوياً أو مرتجلاً . ولكنه جزء من نهج متناسق ، ووثبة في خطة متكاملة ، تجمع الإيمان والعلم ، والخبرة والتجربة ، والموهبة والطاقة ، والحذر والحيطة ، والقوة والإعداد ، والنصيحة والرأي والمشورة ... إلخ .

ولقاء المؤمنين لايمتد هذا الامتداد في المكان والزمان فحسب ، ولكنه يمتد مع جميع الظروف والأحوال ، وتبدل الواقع البشري ، ومضيّ سنن الله في الخلق. إن لقاء المؤمنين دعوة تظل تعمل وتمضي ، لايوقفها شيء ولايعطلها شيء . إنها أمر الله ...! .

فهي تعمل في اليسر والعسر ، واللين والشدة . وهي تعمل والمؤمنون قلة أو كثرة ، فرد أو جماعة أو أمة ، دولة أو تجمّع .

فهذا يوسف عليه السلام يضرب لنا مثلاً ونموذجاً . وهو في السجن يدخله بتهمة باطلة أو مؤامرة ظالمة . وفي قضية صعبة قاسية ، تمس طهر الإنسان وشرفه ، لايجد في ذلك عزاء إلا إيمان النبوة ، ويقين الطهارة ، وقوة الصدق . ولم يكن هذا كله ليشغله عن مهمته الرئيسية ، حين دعاه فتيان ليفسر لهما الرؤيا . فانطلق قبل التفسير والتأويل ، متجاوزاً أي شعور من ألم ، مؤخراً أي رغبة في شكوى ، انطلق يدعو إلى الله رب العالمين ، بأسلوب هادىء مطمئن ، وحجة غالبة بينة ، مستفيداً من طلبهما ليدخل في موضوعه الرئيسي :

﴿ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) ﴾ [يوسف: ٣٧]

فانظر هنا إلى هذا الأسلوب الفذ الذي دخل به إلى دعوتهما إلى الإيمان . أسلوب صادق ، بيّن ، مطمئن . فقد هدّأ أولاً من رغبتهما في معرفة التأويل ، وأكد حرصه على تحقيق رغبتهما . إنه استفاد من الواقع المحيط به بكل أبعاده ، وكل أجزائه ، استفادة ذكية صادقة ، بارعة نبيلة ...! استفادة مؤمنة .

ثم يمضي في دعوته معرفاً بنفسه وعقيدته ، عارضاً لتاريخها وتاريخ النبوة والرسالة :

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٣٨ - ٤٠]

أسلوب النبوّة ، يظل مدرسة القرون والأجيال . فمع كل كلمة درس ، وفي كل لفظة لمحة وظلال تخاطب العقل والقلب والخلق ، وتستثير طاقة الإنسان كلها ، وتعرض وتوفي في العرض ...!

ويظل المؤمن ، ويظل لقاء المؤمنين ، وتظل الأمة الإسلامية ، يظل الصف المؤمن مدعواً إلى العمل والامتداد بالدعوة مع كل الظروف . فحديث السمع والطاعة في (العسر واليسر ، والمنشط والمكره) يطرق قلب المؤمن طرقاً ، وتتوالى آيات الله في كتابه العزيز تطمئن القلوب ليمضوا في دعوتهم ...! **(فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً)** . وتظل الأحاديث الشريفة تفصل وتشرح : **(لن يغلب عسر يسرين)** . وتمضي السيرة وحياة الصحابة تقدم النماذج والأمثال .

ولانستطيع هنا أن نورد جميع الأمثلة من حياة الدعوة على مر العصور ، ولا أن نجمع كل الآيات والأحاديث ، التي تصور هذا الامتداد . ولكننا نأخذ قبسات للتذكير ، حتى إذا التزم المؤمن تدبر منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - ،

ونظر في سيرة الرسول ﷺ ، وحياة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، رأى الصورة الرائعة أمامه تمتد وتتسع بامتداد تدبره واستماعه ، وبامتداد نظره واتساعه ، وبمقدار الإيمان الذي يحمله والجهد الذي يبذله . وكلما ضاق الإيمان وذبل الجهد ، ضاقت الصورة وذبلت ....! .

وحتى يتحقق هذا الامتداد ، كانت رحمة الله بالمؤمنين أن جعلهم أمة وسطاً : في الموقع والمنطلق ، في التوازن الحق العادل في العقيدة ، في التكاليف ، وسطاً في كل أمر ، حتى يسهل الانطلاق ويتيسر الامتداد ، ليكون المؤمنون شهداء على الناس ، وليكون الرسول شهيداً عليهم :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

(**شهداء على الناس ....**) . ما أعظمه من تكريم ، وما أجلها من مهمة ، وما أكبرها من أمانة .. ! وكيف يتحقق ذلك إذا لم تمض أمة الإسلام ، ودعوة الرحمن في الأرض تشق السبل شقاً ، ضاربة في الزمن تصل الأجيال وصلاً ! إنه أعظم امتداد وأعدل اتساع .

ومع هذا الاتساع والامتداد في الأرض ، والزمن ، والجهد ، والظروف والأحوال ، تظل القلوب كلها مشدودة إلى قبلة واحدة ، مخبتة إلى رب واحد ، ماضية على صراط مستقيم ، يربطها نهج واحد .

ويظل الامتداد ، والتوجه إلى القبلة ، والإخبات ، والمضي ، يظل هذا كله محوطاً بهدي الله : (**وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله**) مباركاً برحمة الله ، محفوظاً بعنايته : (**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**) .

إنها إذن مهمة كبيرة ، وكبيرة جداً ، لايقوى عليها إلا المؤمنون الذين هداهم الله . إنها المهمة العظيمة والأمانة الكبيرة والعهد الموثق :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وهكذا نشعر بروعة تناسق الآيات ، وجمال ترابطها ، وقوة تكاملها حتى تبدأ الصورة تتسع واليقين يمتد ، من خلال معاناة وجهد ، وعطاء وبذل ، يذوب في أفياء الرحمة الربانية ، وأنداء الحنان والرأفة ، فإذا هو أمن وأمان ، وثقة واطمئنان ، وسعادة دونها كل سعادة الدنيا المادية .

٤ - لقاء نهج وتخطيط ، وغاية وهدف :

إنه ليس لقاءً تائهاً دفعته الشهوة والمصلحة ، ولا لقاء ارتجال جمعه الجهل والأماني . إنه لقاء رباني ، لقاء أمر به الله ، ورسم له خطه ونهجه ، وحدد له غايته وهدفه ، ولم يَدَعِ الله هذا الأمر والرسم والتحديد لأحد من البشر ، إلا بمقدار ماتقتضيه سنن الله من واجب الاستخلاف وأداء الأمانة ، واحتمال البلاء .

إنه لقاء يبتديء مع نزول آدم عليه السلام . فله نقطة بداية . له بداية في الزمن وبداية في المهمة وبداية في النهج . وله سبيل واحد ، ويمضي إلى غاية واحدة .

إنه لقاء عزيمة ونية . وبدون النية هذه يتفلت اللقاء كله وتنهار العزيمة . إنها نية العبادة والإخلاص لله رب العالمين ، والتجرد عن المصالح والأمزجة والرغبات المعطِّلة ، إنه نية عبادة وإخلاص وتجرد . فالنية هي أساس النهج والتخطيط ، ومنطلق العزيمة والسبيل ، والدافع إلى الهدف والغاية . إن النية والعزيمة هي نقطة الانطلاق ، هي البداية ، وهي النبع الذي يروي السبيل ويندي العزيمة ، ويمتد امتداد الغاية والهدف .[1] أنها مجاهدة النفس مجاهدة ممتدة .

أما السبيل ..! فإنه (الصراط المستقيم ..!) :

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]

(١) يراجع كتابنا الشوى وممارستها الإيمانية لدراسة تفصيل أوسع عن موضوع النية ، وكتاب : النية في الإسلام وبعدها الإنساني ، وكتاب : النية إشراقة في النفس وجمال .

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ويضع منهاج الله جميع خصائص هذا الصراط المستقيم بكل تفاصيله . وهو صراط المؤمنين لاصراط غيرهم :

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]

فالصراط المستقيم هو سبيل المؤمنين ، وهو نهجهم . إنه سبيل مدروس ، ودرب محدد . مهما تكن فيه صعوبات وصخور يضعها أعداء الله ، فإنه يظل صراطاً مستقيماً لايعوج ولاينحرف ، مابقي المؤمنون متمسكين بالمنهاج الرباني ، واعين لواقعهم البشري ، صادقين مع الله . وأما السبل الأخرى ، مهما كان فيها من رياش ومتاع ، فهي سبل متفرقة ، سبل منبتة الصلة مع الإيمان ، منقطعة عن منهاج الله ، لن تؤدي إلا إلى الدمار والويل ، مهما امتدت هذه السبل وازّينت .

وإيحاء هذا اللفظ القرآني المتكرر ، بقوة وشدة (الصراط المستقيم) ، إيحاء واسع وعميق . إنه يوقظ في المؤمن كل طاقات العبادة ، والنية والوعي والحذر والعلم ، ليسلك النهج القويم ، والصراط المستقيم . فهي إذن مسئولية المؤمن نفسه أن يعرف الصراط المستقيم ، وأن يحدده في حياته الدنيا ، على أساس من منهاج الله . وكيف يستطيع إنسان أن يسلك الصراط المستقيم بمواقفه وعمله ، إذا كان جاهلاً بمنهاج الله ، ووقف أمام سبل شتى ، وشعب متفرقة ، فلا يستطيع أن يتعرف على هذا الدرب إلا إذا وعى قلبه منهاج الله إيماناً وعلماً ، ليكون له نوراً وهداية .

وإيحاء هذا اللفظ يوقظ في المؤمن ، أمام واقعه البشري ، الحافز ليرسم خطته، ويتتبع نهجه ، لا أن يسير مستهتراً ، جاهلاً غير مبال ، غافلاً لاخطة له ولانهج . فالتخطيط الإيماني سمة بارزة من سمات لقاء المؤمنين ، وخاصة من خصائصه . ولاينقص من صدق هذه الحقيقة واقع المسلمين اليوم ، إذا كانوا في غفلة قاتلة وجهل معتم ، وارتجال واستهتار ...!

إننا نعرض خصائص لقاء المؤمنين لننهض إليها فنقيمها في حياتنا ، في أمتنا ، في دعوتنا ...!

ولقاء المؤمنين لقاء رباني ، فنهجه رباني ، ينبع تخطيطه من منهاج الله عن إيمان وعلم . إنه لاينبع عن عواطف مشبوبة ، وجهل مظلم ، وأهواء متصارعة . فالنهج يجب أن يكون ربانياً نابعاً عن العلم الذي حددناه قبل قليل : منهاج الله والواقع البشري ، على أساس الإيمان ، وبقدر مايصدق الإيمان ، ويصدق العلم ، وتتفتح المواهب والتجربة ، يصدق التخطيط ويستقيم النهج .

والأمة التي تسير دون خطة ونهج يرسم لها المنطلق ، والخط ، والمراحل والهدف والغاية ، أمة لاتستطيع أن تسير طويلاً ، ولا تستطيع أن تكون سمة ولا برهاناً على لقاء المؤمنين .

وهذه القاعدة تنطبق على الفرد ، والجماعة والأمة . فالفرد عليه أن يضع خطته ونهجه في عمله وسعيه ، خطة نابعة من إيمانه ، متناسقة مع منهاج الله ، قابلة للممارسة في الواقع البشري ، دون انحراف وضلال ، والجماعة والأمة كذلك .

والمنهاج الرباني يمثل التخطيط العام الشامل لحياة الفرد والجماعة والأمة ، في كل المجالات ، وفي جميع الحالات والظروف . وعلى أساس من هذا التخطيط العام تضع الأمة خطتها الآنية ، في واقع محدد ، وظرف معلوم . وهذه الخطة الآنية قابلة للنمو والتطور ، شأنها في ذلك شأن سائر الجهود البشرية الواعية . ويتناسق نهج الفرد مع نهج الأمة من خلال المنهاج الرباني ، من خلال لقاء المؤمنين ...!

ونلمس عظمة التخطيط في حياة الرسول ﷺ ، نلمسها في الهجرة المباركة حيث لم يترك أمراً من الأمور إلا أعد له عدته ، وحسب له حسابه ورسم له خطته ، على نحو يستوعب كل الطاقات والوسائل والأعراف الكريمة في واقعه البشري ،

استيعاباً إيمانياً . ونلمسها في الاقتصاد ، في السياسة ، في القتال ، في المعاهدات . نلمسها في المراحل المتتالية المتناسقة ، والنمو الواعي السريع . وكان ذلك كله في إطار منهاج الله . ونلمس ذلك أيضاً في حياة الخليفة أبي بكر والخليفة عمر رضي الله عنهما ، وهما يضعان خطة العمل ، وأسلوب الحكم في اللحظة الأولى ، في خطبة جادة ، وكلمات حاسمة ، يصوغها الإيمان[1] . ومن أثر هذا التخطيط والنهج ، في حياة المؤمنين ، ولقاء المؤمنين ، أنه يجمع الجهود فلا تتبعثر ، ويصبها كلها في مجرى واحد دفاق بالخير . فلا عجب أن رأينا سرعة الإنجاز العظيم في عهد النبوة ، وكذلك في عهد الخلفاء الراشدين . سرعة وعظمة لم تعرفها البشرية في أي عصر من عُصورها .

هذا هو التخطيط الذي يرعى الطاقات وينميها ، ويجمعها ويوحدها ، ويدفعها ويوجهها ، في خط واحد ، هو الصراط المستقيم ...!

ولا ينجح تخطيط ونهج ليس له أهداف واضحة ، وأهداف لقاء المؤمنين تتجمع كلها في نهاية المطاف لتربط أوله ونهايته بهدف واحد ، وغاية واحدة ... هي الجنة ...! هي الدار الآخرة ... فبدون هذا الهدف العظيم تنهار كل الأهداف ، وتتمزق كل الغايات . ولقاء المؤمنين لقاء رباني ، فنهجه رباني وأهدافه ربانية :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

[الإسراء: ١٨ - ٢٠]

هدف واضح بيِّنٌ حدده الله ورسمه الله لعباده . فمن أراد هدفاً آخر وغاية أخرى ، من أراد الدنيا ، من أراد العاجلة ، فله مايقدره الله له من نصيب فيها ، وفق حكمته الغالبة ، وحُكْمه العادل ، ثم كانت له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً .

---

(١) يراجع كتابنا «الشورى وممارستها الإيمانية» .

هذا هو الهدف العام الواسع ، الذي يربط حياة الإنسان كلها ، يربط النهج كله، أوله وآخره . هذا هو منتهى الصراط المستقيم وغاية الدين القيم .

ويبقى للقاء المؤمنين أهداف مرحلية ، تتحدد من خلال منهاج الله على ضوء الواقع الذي يعيشه اللقاء . وتظل هذه الأهداف كلها مرتبطة بالهدف الأعلى والغاية الأسمى ارتباط عقيدة وإيمان ، **الهدف الأكبر والأسمى : الدار الآخرة ورضوان الله والجنة** . وسيلي في دراسة مستقلة بحث خاص عن الأهداف إن شاء الله . والنهج والتخطيط في الإسلام ، في لقاء المؤمنين ، يحتاج إلى دراسة موسعة خاصة ، وبحث مفصل مستقل ، وهو من أكثر الأمور غياباً عن أجواء المسلمين اليوم ، وأكثرها بعداً عن ممارساتهم . وغابت معه حوافزه ومنابعه ، وأسبابه وعوامله . ولكن منهاج الله قادر على أن يعيد ذلك إلى القلوب المطمئنة ، والنفوس المخبتة ، والسواعد المؤمنة العاملة .

إلا أن التخطيط والنهج ، لايتيسران بمجرد الوعظ والإرشاد . إنها مهمة الرعاية والتدريب ، والبناء والتكوين ، والمراقبة والمحاسبة ، والجهد الدائب المتواصل . إنه أمر يجب أن يدخل دور العلم في أولى مراحلها وأعلاها ، المعاهد والمؤسسات ، ويدخل الحلقات والندوات ، حتى تُغْرسَ غرسته في النفوس ، وتتكون طبيعته في القلوب ، وتتفتح أكمامه في المواهب ، وتزهر القدرات .

٥ - العهد والميثاق :

إن لقاء المؤمنين لقاء يتميز بالعهد الذي يقوم عليه ، والميثاق الذي يعطيه ، والولاء الذي ينهض على إيمان وعهد وميثاق . والعهد والميثاق نشأ مع الإنسان منذ أول وجوده . ثم أخذ يتأكد مع كل رسالة سماوية ومع كل رسول ونبي :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤]

فالعهد والميثاق والولاء ، هذا كله يدور حول محور واحد : «**ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ...**» . ولا عذر لإنسان ، ولا حجة لمخلوق أن ينكص عن عهده ، أو يخلف ميثاقه ، أو ينحرف عن عبوديته الكاملة لله الواحد الأحد ، الرب الفرد الصمد ، الخالق ، له الأسماء الحسنى . وإنها لرحمة من الله أن يبعث الرسل والأنبياء ليذكروا بالعهد ، وليفصل الله للناس الآيات لعلهم يرجعون إلى عهدهم وميثاقهم وولائهم . لاعذر لهم حتى ولو أشرك آباؤهم من قبل ، وتلقوا الشرك عن آبائهم . ولا حجة لهم بذلك ، لأن العهد والميثاق مع الله ، فلا ينطلق إذن ليبتديء العهد مع آباء وأجداد ، وليقوم على عصبية وإقليمية . إنه عهد وميثاق مع الله فهو يؤخذ من منهاج الله ، مما أنزل الله ، ولا يؤخذ عن بشر مهما كانت قرابة هذا البشر ، ولو كانوا آباءً وأجداداً . ذلك حتى لاينحرف النهج ، ولا يضطرب العهد . ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى تأكيداً واسعاً في آيات كثيرة ، لأهمية القضية ، وخطورة الانحراف ، ويحصر القرآن الكريم الاتِّباع بما أنزل الله :

﴿ **الٓمٓصٓ ۝١ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣** ﴾

[الأعراف: ١ - ٣]

نعم ...! (**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون**) . وقد جاء العرض هنا على صورة الأمر ، لتحديد مايتبع (**اتَّبعوا ...**) ، ثم على صيغة النهي لبيان مالا يُتَّبع «**ولاتتبعوا ...**» . وجاءت كلمة «**من دونه أولياء ...**» على صيغة النكرة والجمع ، تحمل معها كل ظلال النفي ، حتى لاتدع ولياً من دون الله أبداً ...!

ولندرس هذا العهد والميثاق في كتاب الله :

﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١** ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]

هو عهد التوحيد والعبودية لله رب العالمين وترك الشيطان في ذلة وخزي ، فهو عدو للإنسان مبين . وهو عهد اتباع الصراط المستقيم .

والله يأمر بالوفاء بالعهد :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩٠، ٩١]

فامتد العهد إلى نواحي متعددة في حياة الإنسان ، لتستقيم كلها على الصراط المستقيم ، عهداً موثقاً مع الله : العدل ، والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وعدم البغي ، والنهي عن المنكر والفحشاء ...!

ويتسع امتداد العهد حتى يشمل العقيدة كلها وعمل الإنسان ...!

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

ويتسع ويمتد كذلك ...!

﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤]

﴿ .... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠]

وينهى الله عن أن يُشترى بعهد الله ثمناً قليلاً ...!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

[آل عمران: ٧٧]

﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل: ٩٥]

ويصبح الوفاء بالعهد صفة المؤمنين ...!

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨]

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الرعد: ١٩ - ٢٤]

وأما الذين ينقضون عهد الله :

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد: ٢٥]

فهم المؤمنون الذين يحفظون العهد، وهم في رحمة من الله دائمة، يذكرهم الله بعهدهم و ميثاقهم ويؤكد في التذكير :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧ ﴾ [المائدة: ٧]

وتمضي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، يمضي منهاج الله ليؤكد أهمية العهد والميثاق ، وليبين امتداده واتساعه ، وليبين أسسه وتفاصيله . ومهما حاول الناس صياغة العهد والميثاق فلن يستكمل أبداً ولن يستوفى أبداً ، ذلك لأن الصياغة الكاملة المتناسقة لانجدها إلا في منهاج الله وحده . وما عدا ذلك فهو قبسات لتذكير ، أو لمحات لتوكيد ، في مرحلة محدودة ، أو لأمر محدود .

ووعي هذا العهد والميثاق مسئولية كل فرد مؤمن على قدر جهده واستطاعته ، ووسعه الصادق وطاقته ، كما وهبها الله له ، لاكما رسمتها له الأماني والرغبات ، والمصالح والشهوات . لابد أن تستوعب طاقة المؤمن ذاته هذا العهد والميثاق من منهاج الله ، لأنه هو المسئول عن ذلك بين يدي الله ، لايغني عنه أحد من البشر أبداً ، يوم الساعة ، يوم الحساب ...!

وبهذا الوعي الموحد ، من المصدر الواحد ، للعهد والميثاق ، يتم لقاء المؤمنين..! لأنهم على عهد واحد ، وميثاق واحد ، حدده رب واحد ، واكتمل في دين واحد ، على نهج واحد ، وصراط واحد ، لغاية واحدة وهدف واحد . هكذا يتم اللقاء ، لقاء إيمانياً واعياً لا لقاء رغبات وأهواء ، ولا لقاء قطيع وشياه ، ولا لقاء فئات وطبقات . ولكنه لقاء واحد يصهر ذلك كله ليكون لقاء المؤمنين .

إن العهد والميثاق هو من أهم خصائص لقاء المؤمنين ، لأن النفوس عرضة للتفلت منه إذا انحرفت ، والقلوب عرضة للغفلة عنه إذا عميت ، والعزائم عرضة للاسترخاء عنه إذا وهنت . ولايحفظ النفوس عن التفلت ، ولا القلوب عن الغفلة، ولا العزائم عن الوهن ، إلا صحبة منهاج الله صحبة عُمْر وحياة ، ورفقة جهد ونيَّة . ذلك لمن أراد الله له الهداية والرشاد ، والرحمة والسداد . والله غالب على أمره ، وهو العليم الخبير ، وهو الحكيم البصير ، له الأمر كله ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

وللمؤمنين في حياتهم عهود ومواثيق ، تنشأ عن ممارستهم الإيمانية ، وكل عهد أو ميثاق للمؤمن في حياته العامة وممارسته الإيمانية ، ينشأ وينبع ويقوم على أساس من عهده وميثاقه مع الله ، على أساس من إيمانه ، على أساس من منهاج الله . فإذا صح منه ذلك صدق عهده ، ولزمه أمره . ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى فله الأجر العظيم .

وعلى أساس من هذا العهد والميثاق مع الله ، يقوم السمع والطاعة ، وتقوم البيعة ، وتقوم رابطة المؤمنين أخوة في الله ، ويقوم لقاء المؤمنين سمعاً وطاعة لله ولرسوله ﷺ ولأولي الأمر (١) .

وهذا العهد والميثاق لايتحول في لقاء المؤمنين إلى جدل ومراء ، وألفاظ ومهاترات ، ولكنه يظل بكل خصائصه الإيمانية جهداً مبذولاً وعرقاً مصبوباً ، وممارسة إيمانية .

وحتى يصدق المؤمنون في ذلك ، فلابد من إعداد وتربية ، وتدريب ورقابة ، وتنشئة وتعهد ، في ظلال الإيمان ، وأفياء الرحمة ، وأنداء الحنان . ذلك في مدرسة الدعوة الإسلامية ، مدرسة النبوة ، الممتدة مع الأيام حتى تقوم الساعة ، **مدرسة لقاء المؤمنين** . والتربية والإعداد لاينحصران في ميدان الحنان ، وظلال الاسترخاء ، وأفياء الوهن والضعف ، ولكنهما يقومان على جهد مبذول ، وعرق مصبوب ، ومعاناة وصبر ، وجهاد ونصر . إنهما يقومان على اتباع منهاج رباني بكل ميادينه وآفاقه ، حتى لايتحول الحنان إلى ضعف ، والرحمة إلى وهن . فهناك جد وعزم ، وحدود وحزم وقصاص وعدل .

إن إعداد الأجيال المؤمنة على وعي حقيقة العهد والميثاق : إيماناً وعلماً ، وممارسة ، يضع الأسس القوية للقاء المؤمنين ، ويقيم اللبنات المتماسكة .

إن هذا الإعداد يهيء للمؤمن حسن الوفاء لكل عهوده في حياته الدنيا : مع

---

(١) تفصيل ذلك في كتاب (الشورى وممارستها الإيمانية) .

والديه فلا يعقهما ، ومع أمته فلا يخونها ، ومع إخوانه فلا يخذلهم ، ومع سائر الناس ، في مختلف الظروف والأحوال ، وتوالي العصور والأجيال .

إن الجيل المؤمن ، حين يُعَدُّ هذا الإعداد ، لا يأخذ قاعدة واحدة من منهاج الله ليمارسها معزولة عن سائر القواعد . ولكنه يأخذ نهجاً ربانياً متكاملاً ، نوراً يضيء السبيل مهما اشتدت الظلمات ، وعملاً وصبراً ، وحكمة وموعظة ، وفطنة وذكاء ، ونصحاً وشورى ، وتعاوناً وأخوة .

إن عهد المؤمن مع أي إنسان في حياته الدنيا ، ينبع ويصدر ، عن عهد المؤمن مع ربه . وانظر إلى هذا الربط الرباني المعجز في سورة النحل ، ربط عهد المؤمن في حياته الدنيا مع عهده مع الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

[النحل: ٩٠، ٩١]

إن الآية الكريمة جعلت العهد القائم مع أي إنسان على أساس منهاج الله هو عهد مع الله : «**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ...**» في أي ميدان من ميادين ممارسة الإيمان والعمل الصالح ، في البيع والشراء ، في السياسة ، في الحرب ... الخ . شريطة أن يكون ذلك العهد قد استوفى شروطه من الإيمان ، من منهاج الله ، وقام على العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وابتعد عن الفحشاء والمنكر والبغي . ثم يضع منهاج الله - وحده - تفاصيل العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ويضع تفاصيل الفحشاء والمنكر والبغي لينهى عنها ويأمر باجتنابها .

ومن هنا نرى نموذجاً ومثلاً لتكامل منهاج الله وتناسقه ، حيث لا تؤخذ قاعدة أو آية واحدة في الممارسة الإيمانية العملية . فلا نستطيع أن نأخذ الآية السابقة وحدها إذا لم نتلمس حدود العدل والبغي ، والإحسان والفحشاء والمنكر ... إلخ ،

من سائر منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** -. فالله سبحانه وتعالى هو الذي يبين لنا العدل وحدوده، والبغي وحدوده، والإحسان وحدوده ....! ولا تحددها أهواء البشر، وتصوراته المتغيرة المحددة، ومصالحهم المتبدلة، كما نرى ذلك في العالم الغربي والعالم الشيوعي، وكلٌّ من لفَّ لفّهم، وكل طائفة نهجت نهجهم.

٦ - الـــولاء :

ومن الجميل أن نلم بأطراف وظلال معنى هذه اللفظة في اللغة العربية مع سائر مشتقاتها حتى نمهد لفهم معاني الآيات وظلال القرآن.

فعل ولاه، يليه، ولياً : دنا منه وقرب.

فعل وليه، يليه، ولياً : ملك أمره وقام به، نصره، أحبه فهو وال جمعها ولاة.

فعل تولى الشيء، الشخص، الأمر : لزمه، نصره، أحبه، اتخذه ولياً تقلده وقام به.

الولاية : القرابة، والنُّصْرَه.

الوِلاية : القرابة، الخطة، إمارة السلطان. البلاد التي يتسلط عليها الوالي.

الموالاة : أن يعاهد شخص شخصاً آخر.

المولى : الرب المالك، كل من ولي أمراً وقام به، المحب، الصاحب، الحليف. النزيل، الجار، الشريك، الصهر، القريب من العصبة كالعم وابن العم، المنعم، والمنعم عليه، المعتق، المتق، العبد، التابع. وجمعها موالٍ.

الوليّ : لك من ولي أمراً أو قام به، النصير، المحب، الصديق، الحليف، الصهر، الجار، العقيد، التابع، المعتق، المطيع. وجمعها : أولياء.

وليّ العهد : وارث الملك.

وليّ اليتيم : الذي يلي أمره.

وليّ المرأة : من يلي عقد النكاح عليها . وجمعها أولياء .

الولاء : الملك ، القرب ، القرابة ، النصرة ، المحبة .

والعهد والميثاق الذي تحدثنا عنه في الصفحات السابقة يرتبط في التزامه وتنفيذه برغبة وعزيمة ، والتزام ونصرة ، ومحبة . إنه التزام وقرب والتصاق ، إنه عاطفة وإيمان ومحبة ، إنه جهد وسعي ونصرة ، إنه علم ، إنه ولاء .

ولقد عرفنا كلمة ولاء لغة : ملك ، قرب ، قرابة ، نصرة ، محبة . فحين يكون العهد والميثاق أساساً مع الله سبحانه وتعالى ، فمن هذا العهد والميثاق مع الله سبحانه وتعالى يشتق كل عهد وميثاق آخر يبرز في الممارسة الإيمانية في الحياة الدنيا : مثل بر الوالدين ، أخوة الإيمان ، السمع والطاعة ، البيعة إلخ . فكل ذلك ، وكلٍّ عهد وميثاق في حياة المؤمن يصدر عن عهده وميثاقه مع الله .

وكذلك فالولاء أساساً لله رب العالمين في ظلال العبودية الكاملة من المخلوق العبد لربه ، وسيده ، ومولاه ، ووليه . ومن الولاء الكامل المطلق والعبودية الخالصة لله رب العالمين ، يصدر كل ولاء بين المؤمن وأي إنسان آخر . فإذا صدق ولاء العبد لخالقه : إيماناً وعلماً وممارسة ، صدق بعد ذلك العبد المؤمن في كل ولاء دنيوي ينتج عن ممارسته الإيمانية في حياته الدنيا . فإذا اضطرب ولاء العبد لخالقه وربه ، سواء أكان ذلك لضعف إيمان ، أم ضعف علم ، أم اضطراب ممارسة ، إذا حدث هذا فإن علاقة المؤمن مع سائر الناس ، تضطرب وتختلّ ، وكل ولاء يهتز ويفسد .

والمنهاج الرباني يؤكد هذا الولاء الخالص من العبد لربه وخالقه ، رب العالمين. ولنعش في ظلال بعض الآيات الكريمة ، حتى نرى أن الله سبحانه وتعالى هو : المولى الناصر ، هو المولى الحق ، هو المولى الذي نتوكل عليه ، وبه نعتصم . ولايجوز اتخاذ أولياء من دون الله ، ولايجوز اتباعهم ! ومع كل آية ظلال جديدة تمد المعاني ، وتكمل الصور حتى تتسق صورة الولاء والولاية ، وصورة المولى والأولياء !

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

أنت مولانا ...! أنت سيدنا وربنا ومالكنا، أنت الصاحب الناصر، أنت المنعم... أنت وحدك الذي تنصرنا على القوم الكافرين ...! أنت وحدك الذي يعفو عنا، ويغفر لنا، ويرحمنا ... أنت مولانا.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [التوبة: ٥١]

هو مولانا ...! هو وحده الذي يكتب لنا أقدارنا، وعليه نتوكل.

﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) ﴾ [آل عمران: ١٥٠]

فالله هو وحده المولى، وهو وحده الناصر.

﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾ [الأنعام: ٦٢]

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠]

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) ﴾ [يونس: ٣٠]

﴿ .... فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج: ٧٨]

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾ [التحريم: ٢]

فالله هو المولى في الدنيا والآخرة . وارتبط معنى الولاء لله سبحانه وتعالى وامتدت ظلاله حتى شمل : الحكم والحساب ، وارتبط بالعبادة من صلاة وزكاة ، واعتصام . والله هو المولى فهو الذي يشرع لعباده فهو العليم الحكيم ، فهو الذي فرض للمؤمنين تحلة أيمانهم ...! ومع هذا التأكيد الجازم كما رأيناه في الآيات السابقة ، فقد توالت الآيات الكريمة لتنهى نهياً قاطعاً عن اتخاذ أولياء من دون الله :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) ﴾ [العنكبوت: ٤١]

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (6) ﴾ [الشورى: ٦]

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9) ﴾ [الشورى: ٩]

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]

﴿ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (10) ﴾ [الجاثية: ١٠]

﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) ﴾ [الجاثية: ١٩]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) ﴾ [الممتحنة: ١]

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كتابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١ - ٣]

وتمضي الآيات الكريمة لتكمل الصورة ولتبين أن الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، وأن الله ولي المتقين:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ .... ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

﴿ .... إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ .... ﴾ [الأنفال: ٣٤]

﴿ .... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

﴿ ... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ.... ﴾ [الأنعام: ١٢١]

﴿ .... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ... ﴾ [الأعراف: ٢٧]

والولاية الحقة تهب المؤمن الحماية والأمن، وتنزع من قلبه الخوف والفزع، في الدنيا والآخرة:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢]

إن الذين يتخذون من دون الله أولياء، قد فقدوا الكثير ...! فقدوا النور، فهم في ظلمات، وفقدوا النصرة، والهداية، وفقدوا القوة، والتجأوا إلى ضعف،

(وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) . ووقعوا في الكذب والفجور ، وأصبحوا من الظالمين ، واتخذوا من أعدائهم وأعداء الله أولياء ، يسرون إليهم بالمودة ، فضلوا سواء السبيل . واتبعوا أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله فيما شرعوا لهم من شرع يخالف منهاج الله . وإنهم ليخوضون في جدل ومراء ...! صفات كثيرة كلها مغايرة لصفات الإنسان المؤمن .

ومن هم هؤلاء الأولياء الذين يتخذهم بعض الناس أولياء من دون الله ؟ من هم هؤلاء الذين يعطيهم الناس ولاءهم الكامل المطلق ، وينزلونهم - ظلماً وجهلاً وعدواناً - منزلة الألوهية ...؟ من هم هؤلاء الذين يخصهم الناس بالعبودية من دون الله ، وبالمحبة التي لاتجوز إلا لله ، والخشية التي لاتجوز إلا لله ، والسمع والطاعة التي هي لله رب العالمين ...؟! من هم هؤلاء الأولياء ...؟! إن المحبة بين الناس جائزة ومشروعة ، ولكن حب الله ورسوله ﷺ شيءٌ آخر . إنه حب يبلغ مستوى لايعلو عليه حب آخر . إن هذا الحب في هذا المستوى لايجوز إلا لله سبحانه وتعالى ، ويظل حب الناس بعضهم بعضاً قائماً ماضياً في حدوده البشرية ، ويظل كذلك نابعاً من الإيمان بالله ، نابعاً من حب الله ورسوله ﷺ ، نابعاً من العهد والميثاق مع الله ، نابعاً من الولاء لله . وكذلك الخشية في حياة الناس تمضي في حدودها البشرية على هدى من منهاج الله ، تنبع من الإيمان والعهد والميثاق والولاء لله . وكذلك البيعة والسمع والطاعة تمضي في حياة المؤمنين ، والجماعة المؤمنة ، والأمة المؤمنة ، على نور منهاج الله ، نابعة وصادرة من الإيمان والعهد والميثاق ، والولاء ، والبيعة ، والسمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ. تمضي هذه القواعد الإيمانية في حياة المؤمنين في ممارسة إيمانية في الواقع البشري ، فيما بينهم ، تمضي أخوّة وعاطفة ومودة ونصحاً ، وبيعة ، وسمعاً وطاعة ...! تمضي هذه القواعد الإيمانية كلها في تطبيقها البشري ، في أجواء الإيمان وظلال العبودية لله ، تمضي وهي نابعة من الإيمان صادرة عن منهاج الله ، متصلة بالعهد والميثاق ، والبيعة والولاء لله رب العالمين . مع العهد والميثاق مع الله ورسوله ﷺ، مع البيعة

لله ولرسوله ، مع السمع والطاعة لله ولرسوله ، مع الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى . ذلك كله على تناسق لاتعارض فيه ، وتكامل لاتشوبه شائبة ، وصدق لايعطله مراء ، وبذل لايفسده منٌّ ولا أذى ، ومودة لايقطعها قيل وقال ، وفلسفة وجدال ، ونهج مستقيم لاتحرفه أهواء مشبوبة ، ومصالح هائجة ، وجهل يختفي تحت بعض المظاهر والشعارات ...! .

من هم هؤلاء الأولياء الذين ملأوا الأرض فساداً والتاريخ فتنة ..؟ وجندوا كل جنودهم هنا وهناك يفسدون في الأرض ويقطعون الروابط والأرحام ...!

من هم هؤلاء الأولياء الذين يدلفون بين الناس تحت ظل رايات وشعارات محببة للناس ، يزينون الباطل ليصوروه حقاً ، فينخدع الجهلاء والمرضى والضعفاء والمنافقون والمشركون ، والكافرون ، فيتبعون هؤلاء الأولياء من دون الله .

لذلك كان قول الله فصلاً ، حازماً ، حاسماً :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾
[الأعراف: ٣]

من هم هؤلاء الأولياء ...! .

من هم هؤلاء الأولياء ...؟ لقد برزوا عبر التاريخ البشري أنماطاً متعددة ، ونماذج مختلفة ، في حياة الشعوب . وقد لانستطيع هنا أن نحصرها كلها ، ولكننا نأخذ نماذج ونضرب أمثلة ، ونأخذ قبسات من كتاب الله :

(أ) **الهوى** : هوى النفس البشرية حين يتفلت فلا ينضبط ، وحين يقود ولا يقاد .

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣]

حين يصبح الهوى إلهاً ، وتُصَمُّ الآذان وتُعْمَى الأبصار ، وتُسَدُّ المنافذ ويهوي الإنسان في ظلمات الشرك ، ويفقد ميزاته الإنسانية حتى يصبح كالأنعام .

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾

[الفرقان: ٤٤]

حين يصبح الهوى إلهاً تتعطل قوى الخير في الإنسان ، وتتمزق طاقاته في بيداء ، ويقتله الكبر والغرور ، ويجرفه الظلم والضلال . يرى الإنسان نفسه في هذه الحالة شيئاً آخر . لقد فقد حدوده فلم يعد يعرفها ، ونسي نفسه فنسيه الله . إذا أعطى رأياً ظن رأيه الغالب ، وفكره الأصوب . إنه إنسان يحكمه الهوى والرغبة والمزاج . إنه يؤول عندئذ الآيات ، والأحداث ، والوقائع ، إنه يبدل ويحرف ، ليخضع كل شيء إلى هواه . فإذا هو هالك ضائع .

(ب) **الشيطان :** وهو رأس كل فتنة ، ووراء كل هوى ، ومحرك كل ظلم وعدوان .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

﴿ ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

﴿ .... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ... ﴾ [الأنعام: ١٢١]

﴿ .... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ... ﴾ [الأعراف: ٢٧]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾

[الكهف: ٥٠]

(جـ) أنماط من الناس يتخذهم بعض الناس أنداداً من دون الله .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ .... ﴾ [البقرة: ١٦٥]

أنماط من الناس : من الأقرباء والأرحام يحبونهم بسبب القربى والرحم حباً كحب الله ... ، من الأصدقاء ، من أصحاب القوة والسلطان ، من رجال العلم ...! أنماط عديدة من الناس .

(د) **الظالمون من الناس بعضهم أولياء بعض :**

﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٩]

(هـ) **أعداء الله وأعداء المؤمنين**، حين يضعف فرد من المؤمنين أمامهم في موقف ابتلاء فيوادهم ويواليهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ... ﴾ [الممتحنة: ١]

ومنهاج الله يعدد لنا نماذج من كل هذه الأنماط ومن غيرها ، ويعرضها بأسلوبه الرباني المعجز ، ليقدم لنا العبرة والموعظة ، ولتتضح صورة الولاء لله ، ومعنى العهد والميثاق ، ونور البيعة ، وجمال السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ ، وليمضي المؤمن في ممارسته الإيمانية عملاً صالحاً يرعاه منهاج الله على صدق نية ، وسلامة وعي ، وقوة بذل ، وعلم بمنهاج الله وبالواقع البشري ، يعرف حدوده فيقف عندها ، ويعرف منازل الناس ، فيوفيهم حقهم ، ويمضي مؤمناً في موالاته للمؤمنين في عهوده وميثاقه مع الله ، وولاؤه لله رب العالمين .

وأنى لإنسان أن تصدق ممارسته هذه ، وتعدل موازنته ، إذا لم يصدق إيمانه ، ولم يصدق علمه بمنهاج الله ، ولم يصح علمه بالواقع البشري الذي يمارس إيمانه فيه ...؟! كيف تصح ممارسته الإيمانية إذا خلت من العلم اللازم لها من منهاج الله ، والعلم اللازم لها من الواقع البشري .؟!

وكيف تصح ممارسته إذا لم يعرف بعد هذا كله حده فيقف عنده ، ومنازل الناس فيوفي حقها ؟ كيف تصح ممارسته ويصدق ولاؤه إذا أخذه الغرور فتجاوز قدره ووقع في فتنة ، أو أقعده الجهل فدفعه إلى الشرك ؟!.

ويمضي القرآن الكريم ليؤكد معنى الولاء لله ، وليكمل الصورة ، حتى يسهل التدبر وتصدق الممارسة . ولنعش مع بعض الآيات الكريمة لنؤكد المعنى في أنفسنا :

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧]

نعم لا ولي ولا نصير من دون الله . فالله له ملك السموات والأرض فهو القوي العزيز ، وهو الغني الحميد ، وهو العليم الحكيم ، له الأسماء الحسنى كلها . فأي ولي يمكن أن يكون من دونه . ؟!

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١]

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ...! إن الموقف مذهل ، مرعب ، مفزع إنه يوم الحشر . حيث يسقط الشرك كله ، وينفضح الكفر كله ، وينكشف خزي من ادعى الولاية من دون الله ...!

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١]

وهكذا يمضي حكم الله . وهو القوي العزيز . لا يرد حكمه أحد أبداً ، فلن يكون هنالك من وال دونه أبداً ...!

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]

فلا حافظ من دون الله ، ولا واقي ، ولا ولي ...! والخطاب موجه إلى عبده ورسوله ونبيه وحبيبه المصطفى ﷺ خير خلق الله . ذلك أن الولاية لله الحق ، أمر جد لاهزل فيه ، وحكم فصل . ومن يتبع الهوى فلن يجد ولياً ولا واقياً من دون الله .

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦]

وهنا ارتبطت الولاية، وارتبط الولاء لله، بعلم الله الذي يعلم غيب السموات والأرض يحيط به سمعاً وبصراً، ولايشرك في حكمه أحداً ...! فهل يمكن أن يكون لهم من دونه من ولي ...؟!

وتمضي الآيات الكريمة على هذا النحو تربط الولاء لله بكل أسباب العلم والقوة والملك وتنزيل الكتاب ...!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٦]

هذا هو التحدي القاطع العظيم، حيث تحدى الرسول ﷺ كل شركاء الكافرين: ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾: ومن أين الحماية له ؟ ومن أين القوة له ؟ إنها ولاؤه الكامل وعبوديته المطلقة لله رب العالمين . فمن هذا الولاء يستمد الرسول ﷺ كل قوته، وما أعظمها من قوة :

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

وفي سورة الأنعام لوحة أخرى وهزة إيمانية عنيفة :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤]

هنا النفي القاطع ...! والتصوير الإيماني الجلي ...! قل أغير الله أتخذ ولياً ..! لا ...! وكيف يصح اتخاذ ولي غير الله ؟ والله هو فاطر السموات والأرض وحده، فله القوة كلها والعلم كله والتدبير كله، في كل أمر مهما جل أو صغر، فهو الذي يطعم، وهو الذي يرزق الإنسان طعامه الذي لاغناء له عنه، ولا حياة له بدونه . ولايستطيع أحد ذلك غير الله ....!

هذا الولاء لله رب العالمين ، وهذه الولاية ، يعرضها القرآن الكريم بقوة بتأكيد، بحزم وحسم ، قول فصل . يعرضها من كل جوانبها النفسية والفكرية ، يربطها بكل عناصرها الإيمانية ربطاً موثقاً متيناً ، حتى تصبح الصورة جلية مشرقة . بينة ميسرة ! يعرضها القرآن الكريم كل هذا العرض ، ويعرض امتدادها ، حتى يشمل إمتدادها الدنيا والآخرة . ويعرض كذلك بركتها وخيرها : لاخوف ولاحزن ، ثواب خير ، وعقبى خير ، نصرة وقوة ، حماية وحفظ ووقاية ، شفاعة ، بشرى في الدنيا والآخرة إلى غير ذلك من أسباب النور والخير الذي يعرضه القرآن الكريم ، يعرضها ويربطها بكل عناصرها : علم ، حكمة ، قوة ، نصر ، تنزيل الكتاب ، النصرة الحماية ، ملك السموات والأرض ، نفاذ أمر الله ، الحكم ، وسائر الأسماء الحسنى ! وعندما يستقيم هذا الولاء لله رب العالمين ، وحين تصدق هذه الولاية في نفس المؤمن وقلبه : إيماناً وعلماً وممارسة ، عندما يتحقق هذا صدقاً لاشبهة فيه ، عند ذلك ينشأ من هذا الولاء ذاته ولاء آخر نابع منه ، مرتبط به ، متناسق معه ، وتنشأ ولاية أخرى ، نابعة مرتبطة ، متناسقة ، مع الولاية لله رب العالمين . ينشأ هذا الولاء وتلك الولاية في الحياة الدنيا ، في الممارسة الإيمانية ، في العمل الصالح ، بين المؤمنين أنفسهم . تنشأ علاقات وروابط ، وتقوم عهود ومواثيق ، ليمارسها المؤمنون في حياتهم الدنيا شريطة أن يتحقق ارتباطها وتناسقها مع الولاء الخالص لله رب العالمين . وهذه الروابط والعلاقات ، والعهود والمواثيق ، والولاء والولاية ، لاتنشأ من فلتات العواطف والمصالح ، ولا من قرار وصياغة يضعها الإنسان ! مهما كان ذلك الإنسان ! ولكنها روابط وعلاقات ، وعهود ومواثيق ، وولاء ، وولاية ، رسمها منهاج الله ، وأمر بها الله ، وصاغها منهاج الله حتى يستكمل المنهاج الرباني شموله وكماله وتناسقه ...!

وترسم لنا سورة المائدة جوانب من هذا الولاء في الحياة الدنيا بين المؤمنين ، تربطه ربطاً مباشراً قوياً بالولاء الخالص لله ولرسوله ﷺ ، حتى يُسمّي القرآن من يتحقق فيهم هذا الولاء مرتبطاً هذا الارتباط ، (**حزب الله !**) ويعطيهم صفة

ثابتة دائمة ، صفة عظيمة واسعة تكاد تجمع سائر الصفات التي عرضناها ، هي صفة : (**الغالبون**) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦]

هنا تبرز الجماعة المؤمنة ، والأمة المؤمنة :

﴿ .... وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .... ﴾ .

تبرز الأمة المؤمنة في هذه الآيات على ولائها الخالص الصادق لله ولرسوله ﷺ ، ثم على ولاء قائم بينهم ، جعل هذا وذاك منهم أمة واحدة ، وحزباً واحداً ، واحداً فقط ، هو حزب الله الذي يجمع الأمة ولا يُفرِّقها ، وهم الغالبون .

وتأتي هذه الآيات الكريمة ، بعد أن تعرض سورة المائدة جوانب من الواقع البشري الذي تمر به الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة . فيعرض صوراً للمنافقين الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وصوراً متعددة لأهل الكتاب وهم يحرفون كتابهم ، وهم يخالفون كتابهم ، وهم يحاربون الإسلام سراً وعلانية . ثم تقرر السورة الكريمة أن محور التجمع الإيماني هو الحكم بما أنزل الله ، وقد ختمت الرسالات السماوية برسالة محمد ﷺ، مهيمنة ومصدقة لكل ماسبقها . ثم يأتي تحديد العلاقات إيماناً وعاطفة وفكراً وسلوكاً :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢]

فهذه الآيات تقطع الولاء والولاية بين المؤمنين وأهل الكتاب . ذلك أن ولاء المؤمنين مرتبط بالله خاضع لحكم الله ، وأهل الكتاب يتبعون الهوى ! ويتميز المؤمنون بالموالاة فيما بينهم ليكونوا جميعهم أمة واحدة ، لها رب واحد ، وولاء واحد .

ثم تمضي الآيات في سورة المائدة لتزيد معنى الولاء وضوحاً ، ولتنتظم العلاقات على أساس من معنى الولاء ، ولتضع الحدود وترسم الواقع :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ [المائدة: ٥٧]

أمر من عند الله وتحديد ...! ووصف لواقع أهل الكتاب والكفار يضيف إلى ماسبقه من وصف ، ترتبط مع ماسيليه . تحديد واضح للعلاقة ، وتحديد واضح للولاء . وارتباط الولاء بالولاء لله ورسوله ﷺ . وتمضي لتركز على تميز المؤمنين بهذا الولاء المحدد الواضح . وتضرب أمثلة عن الولاء الخاطيء الآثم المنبت عن الولاء لله . فهؤلاء أهل الكتاب يعبدون من دون الله مالا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ، ويغلون في دينهم غير الحق ويتبعون : « **أهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** » ، وقد لُعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم لعصيانهم وعدوانهم ، وكانوا لايتناهون عن منكر فعلوه . هذه الصفات كلها وكثير غيرها اجتمعت فيهم ، فكيف يقوم بينهم وبين المؤمنين ولاء ؟! ولكن هذه الصفات تدفعهم لينحرفوا بولائهم . تدفعهم هذه الصفات وقد انفصلت عن حبل الإيمان ، تدفعهم وقد انفصل ولاؤهم في حياتهم الدنيا عن الولاء لله ، تدفعهم وهم لم يعد لهم أصلاً ولاء لله سبحانه وتعالى ، تدفعهم بهذه الخصائص كلها ليتولوا الذين كفروا . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ﷺ ما اتخذوهم أولياء :

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١]

وترى هنا كيف تربط الآيات الكريمة (الولاء) بالإيمان بالله والنبي ﷺ وما أُنْزل إليه . فيصبح الولاء نابعاً من الإيمان بالله ورسوله ﷺ، ونابعاً من منهاج الله الذي أُنْزل على محمد ﷺ ، ليقوم الولاء على إيمان صادق وعلم صادق . وعندما يضطربَ الإيمان ، ويضطرب العلم ، يضطرب الولاء ، وعندما يضعف هذان ، يضعف ذاك ، فإذا زاد الاضطراب والضعف ، فقد يقترب من الكفر ، أو يدخل فيه ، وتنقطع الصلة عندئذ بالإيمان وأسبابه ، وينحرف الولاء انحرافاً كبيراً ، فإذا هو ولاء للكافرين وأعداء الله .

من هذا العرض السريع لبعض آيات سورة المائدة نرى كيف أن تحديد الولاء ، وتحديد العلاقات ، هو آيات بينات من عند الله ، وليست فلسفة صاغها متفيهقون ، ولا أهواء يدفعها المنافقون . وكذلك نجد أن هذه الأحكام تتنزل مع دراسة وافية وعرض مفصل للواقع البشري ، حتى يدرك كل جيل أهمية فهم الواقع البشري ، وأهمية دراسته ليتوافر عامل ضروري مع سائر العوامل التي تساعد على سلامة الممارسة الإيمانية والعمل الصالح ، وتطبيق أحكام الله بسهولة ويسر ، عن علم لاعن جهل ، عن علم يأخذ منه كل مؤمن قدر وسعه وطاقته في أمة مؤمنة عاملة مجاهدة .

رأينا إذن كيف ينشأ الولاء بين المؤمنين في الحياة الدنيا ، ولاء نابعاً من الولاء لله ورسوله ﷺ ، مرتبطاً به ، ولاء له هدف وغاية ، ومهمة وقصد ، هو جمع المؤمنين أمة واحدة ، وحزباً واحداً . وبدون هذا التصور للولاء ، لأسسه ، لحدوده ، يتعذر قيام الأمة المؤمنة الواحدة ، والجماعة المؤمنة الواحدة ، لأنها تكون قد فقدت رابطتها ، وخصائصها ، فتنقسم شيعاً وأحزاباً ، كل حزب بما لديهم فرحون .

وبعد أن تعرض سورة الأنفال أجواء غزوة بدر ، وتقرر بعض الأحكام وتعالج النفوس والقلوب ، وتحدد تعريف المؤمنين وتعرض بعض خصائصهم المناسبة لهذه الأجواء وتلك الغزوة ، تمضي السورة الكريمة لتوثق عروة الإيمان بالله ، وصدق التوكل عليه ، وتربط أسباب النصر بالله وحده ، وسبل النجاة بالله وحده ،

وأبواب الرزق بيده وحده ، تمضي السورة تعالج كل موقف صغير أو جليل ، من خلال الإيمان بالله ، ومن خلال طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، حتى تكاد تجمع السورة جميع ظلال الولاء لله سبحانه وتعالى ، ولاء نقياً خالصاً من كل شائبة . ومع كلِّ آية ، تكاد تشعر وتحس أنها تهدف إلى توثيق عروة الإيمان بالله ، وتوثيق الولاء الخالص له ، ولاء العبد لربه وخالقه ، رب السموات والأرض ، واهب النصر ، والرزق ، والحماية ، القادر على كل شيء ..! ويظل هذا الهدف بارزاً واضحاً والسورة تعالج مواقف الكافرين ، والمنافقين ، بين مكر وغرور ، وضلالة واستكبار ، ومواقف الشيطان وهو يزين للكافرين أعمالهم ، ثم يتخلى عنهم لما تراءت الفئتان . مع كل موقف ومع كل آية يزداد الولاء لله وضوحاً وقوة . ولنأخذ قبسات ولمحات .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢]

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ .... ﴾ [الأنفال: ٩]

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ .... ﴾ [الأنفال: ١٠]

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [الأنفال: ١٢]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .... ﴾ [الأنفال: ٢٠]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [الأنفال: ٢٦]

﴿ ... وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ... ﴾ [الأنفال: ٣٤]

ثم تقرر السورة في وسطها تقريباً ، في الآية الأربعين ، الحقيقة الكبيرة :

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠]

هذه هي الحقيقة الإيمانية التي يجب أن تنشأ النفوس عليها، وتربى القلوب في ظلالها: «**فاعلموا أن الله مولاكم ..**». وتمضي بعدها الآيات لتوسع الصورة ولتستكمل ظلال الولاء لله، ومعانيه، بأسلوب رباني معجز. يدفع الرهبة ويولج الرغبة، يعطي السكينة والأمل، ويثير الخشية والخوف، يعرض الواقع من كل جوانبه حتى تسقط حجة كل مجادل ومراء.

وبعد أن تثبّت السورة هذا المعنى في القلوب، تعرض السورة علاقة المؤمنين فيما بينهم، وترسم حدود الولاء والولاية في حياتهم، وتربط ذلك كله بالإيمان بالله، بالولاء الخالص لله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾ [الأنفال: ٧٢ - ٧٥]

ربط محكم، وتحديد يقطع كل مراء، ووضوح يزيل كل إبهام. ولاء بين المؤمنين نابع من ولائهم الخالص لله، نابع من إيمان وعلم وعمل، من بذل وجهد: «**...آمنوا وهاجروا وجاهدوا ...**». «**.... آووا ونصروا ...**»، نابع من ممارسة إيمانية لمنهاج الله في شتى ميادين الإيمان المفتحة. فمن تخلف عن ميدان من ميادينه، ميدان رئيسي هام كميدان الهجرة: «**... مالكم من ولايتهم من شيء...**». هذه هي الولاية بين المؤمنين قائمة على هذا الربط، وثيقة العروة بالولاء لله.

أما الكافرون فهم كذلك بعضهم أولياء بعض .. بينهم ولاء وولاية . ولكنه ولاء منبّت الصلة عن الإيمان ، مربوط بالشر والفساد . فإذا لم يع المؤمنون حقيقة الولاء بينهم وتميزها وأهميتها ، وإذا لم يقطعوا كل مظاهر الولاء مع الكافرين ، إذا لم يفعلوا هذين الأمرين : حماية الولاء بينهم وقطع الولاء مع الكافرين ، فسيكون في الأرض كلها فتنة وفساد كبير .

ثم ولاء آخر أضيق دائرة : «...**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم**» . إنه الرحم الذي يحتل بين المؤمنين منزلة خاصة عظيمة ، تجعل بين الأرحام عوناً ورحمة ، وصلة ومودة ، ذات طابع متميز ، على هدى من منهاج الله ، ونور من أحكام الله ، وموازنة دقيقة بين جميع الصلات والروابط ، دون أن تطغى واحدة على غيرها ، ودون أن تختل قاعدة التوازن العظيمة في الإسلام .

فأولوا الأرحام أولى ببعض في الميراث وفي سائر صلات التراحم التي حددها القرآن وحددتها السنة . فالإنفاق ، والبر ، والزيارة ، وغير ذلك من الإحسان دون أن يسقط حقوق سائر المؤمنين في تراحم وإنفاق وبر . ولكن بر الوالدين يظل أعظم درجة وأكبر أجراً . ويظل الأقربون الفقراء أولى بالصدقة والإحسان وهكذا تمضي العلاقات كلها بين المؤمنين على توازنها العظيم وتماسكها القوي ، وتناسقها وترابطها .

ويظل هذا المعنى يمتد في منهاج الله وضوحاً واتساعاً ، يعرضه منهاج الله من خلال الواقع البشري ، ومن خلال عرض سنن الله في الحياة ، ومن خلال تشريع وأحكام ، ومن خلال عقيدة وإيمان .

ولقد مر المؤمنون في مواقف ابتلاء ومحنة ، والرسول ﷺ بينهم ، الوحي يتنزل ، وسنة الله ماضية . وظل المؤمنون يمحَّصون في إيمانهم ، في مواقفهم ، في كلمتهم ، في نياتهم ، حتى تنكشف نقاط الضعف فلا يؤتى المؤمنون من قبلها .

وكانت غزوة تبوك ، امتحاناً وتمحيصاً وابتلاء . فتميز المؤمنون ، ومُحِّصَت

القلوب ، والروابط والعلاقات ، والصداقات ، والأرحام . مُحِّصَت كلها في امتحان فاصل عظيم تعرضه سورة التوبة في آياتها الكريمة وأحداثها الضخمة وتحليلاتها الدقيقة : تكشف سورة التوبة المنافقين من خلال الكلمة والموقف والسلوك والنية . ثم تحدد صلة المنافقين بعضهم ببعض :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧]

أما المؤمنون فعلاقتهم شيء آخر . إنّ بعضهم أولياء بعض . إنه الولاء النابع من الإيمان ، المتصل بالولاء الخالص لله . وبذلك تبرز مواقفهم وأعمالهم ...!

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]

بعضهم أولياء بعض . إنهم أمة . إنهم جماعة واحدة . إنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . إنهم يقيمون العبادة من صلاة وزكاة وغيرهما . وهذا كله ، وهذا الولاء بينهم كله ، مرتبط بطاعتهم لله ورسوله ﷺ . هذا هو الربط المتين بين الولاء في الحياة الدنيا بين المؤمنين ، وبين الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى ...! وبدون هذا الارتباط يضطرب كل ولاء ، وتفسد كل ولاية ، وتهتز كل رابطة ، وتنقطع العرى ، في فتن هوجاء .

هكذا تتحدد العلاقات ، ويتحدد الولاء ، بين كل الفئات والجماعات والناس أجمعين . فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، لايتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين :

﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

[آل عمران: ٢٨]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤) ﴾ [النساء: ١٤٤]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤]

إنه الحد الفاصل بين الإيمان والكفر . فالولاء لايجوز حتى للآباء والإخوة والأبناء والأزواج ... إن استحبوا الكفر على الإيمان . إن الأبوة لها مكانتها العظيمة في أفياء الإيمان ، والرحم لها شأنها العظيم في علاقات المؤمنين . ذلك عندما تكون العلاقة بين مؤمنين ، ارتبط كل مؤمن بولاء خالص لله رب العالمين فنشأ عن هذا الولاء لله رب العالمين ولاء بين المؤمنين يحدده منهاج الله ، رابطة وعلاقة ، عقيدة وإيماناً ، عملاً وجهداً . أما إذا انقطع حبل الإيمان فلا ولاء ولا موالاة ...!

ويظل القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى من خلال أحداث ووقائع ، وعقيدة وإيمان ، وتشريع وأحكام . ففي سورة الممتحنة صورة جديدة وظلال جديدة لهذا الولاء ، حتى تستكمل الصورة تناسقها وترابطها :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ

وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [الممتحنة: ١ - ٤]

وتمضي سورة الممتحنة تعرض ظلال الولاء من مختلف نواحيه ، وتحدده من خلال علاقات وروابط ، وواقع وأحداث ، وعقيدة وإيمان ، وتشريع وأحكام ، تعرضه من خلال ذلك كله ليظل الترابط والتناسق على أشد مايكون ، وأروع مانتلو ، وأدق مانتدبر . ولانستطيع هنا مهما فَصَّلنا أن نعرض أكثر من قبسات ولمحات لنذكِّر ، وليعود المؤمن إلى منهاج الله يتلوه ويتدبَّره ، ليعي من هناك - من منهاج الله وحده - الصورة الكاملة للولاء ، في منهاج متكامل حق منزل من رب العالمين . إننا هنا نذكر أنفسنا ونذكر المؤمنين !

إن معاني لفظة (الولاء) ومشتقاتها ، وكذلك ظلالها وامتدادها ، تبرز مع الآيات والسور المتعددة التي تعالج هذه القضية الخطيرة ، بالإضافة إلى المعنى اللغوي الأساسي لها . إن الآيات والسور تعرض هذا المعنى اللغوي مع كل ظلاله وآفاقه ، في ميدان الواقع والتطبيق ، حتى يصبح معنى الولاء واضحاً وضوح العقيدة ، قوياً قوة الإيمان .

ففي سورة الممتحنة تأتي الآيات على هذا النحو : «...**أولياء تلقون إليهم بالمودة ...**» ، «**تسرون إليهم بالمودة ...**» ثم مثل تطبيقي عملي من إبراهيم عليه السلام وقومه . وانظر إلى هذا التعبير : «.... **كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ...**» ، وكذلك الآيات في سورة المائدة والأنفال والتوبة تعطي من هذه الظلال شيئاً كثيراً .

وإذا رجعنا إلى الآيات التي استشهدنا بها في هذا البحث ، وهي جزء فقط ،

نجد أن موضوع الولاء ممتد في منهاج الله امتداداً واسعاً . نجد كذلك أن منهاج الله ظل يعالج هذا الموضوع في جميع مراحل الدعوة . ولقد عرض منهاج الله هذه القضية في السور التالية :

التحريم ، الممتحنة ، الجاثية ، الشورى ، فصلت ، الزمر ، الأحزاب ، العنكبوت ، الفرقان ، الكهف ، الرعد ، يوسف ، هود ، يونس ، التوبة ، الأنفال ، الأعراف ، الأنعام ، المائدة ، النساء ، آل عمران ، البقرة . قرابة اثنتين وعشرين سورة من كتاب الله عرضت (الولاء) أو جانباً من جوانبه ، حتى تتكامل الصورة في منهاج الله كله . ومنهاج الله يعرض الولاء من خلال عرضه العقيدة ، أو لبعض أسسها ، أو من خلال التشريع والأحكام ، أو من خلال وقائع وأحداث . وبذلك يستكمل العرض كل أجزائه وألوانه وظلاله .

من هذا العرض الذي قدمناه في الصفحات السابقة نرى أن الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى بالصورة التي عرضها منهاج الله يمثل محور العقيدة والتوحيد والإيمان . إنه يمثل الطاقة المحركة للإيمان . فهو يحرك الحب الخالص لله ، والخشية الخالصة لله ، وهو الذي ينظم ويحرك العاطفة والشعور والإحساس في اتجاهها الحق السوي .

وهو كذلك محرك النية ومطلقها وموجهها . إن النية لتتحرك وتعمل على أساس الولاء المستقر في القلب . إن الولاء هو الذي يدفع النية في مسارها .

وهو يحرك طاقة الفكر والتصور ويدفعها في كل آفاقه ، ويتحكم في كل اتجاهاته .

وهو يحرك طاقة العمل والنشاط في شتى المواقع والميادين . ويزوده بالحرارة والنشاط والقوة .

فلا عجب إذن إذا أخذ عرض الصورة في منهاج الله مساحة واسعة كما بينا سابقاً .

وفي واقعنا ، بين المؤمنين ، بين المسلمين ، على تفاوت درجات الإيمان والالتزام ، نجد أن التصور القرآني للولاء غير واضح في النفوس والقلوب ، على ضوء ماتكشف عنه الممارسات في ساحة الواقع البشري . نكاد نعتقد أن الصورة مضطربة مهزوزة . أو مشوشة مشوهة ، أو مطموسة ضائعة ...!

فإذا كنا نعزو هذا الاضطراب إلى شيء فإنا نعزوه إلى أمرين أساسيين :

أولاً : جهل المسلمين بمنهاج الله **قرآناً وسنة ولغة عربية** ، جهلاً نزع سلامة التصور الإيماني ، ودفع تصورات بشرية حملتها إلى النفوس مصادر بشرية شتى . وكذلك جهل المسلمين بواقعهم وبالواقع البشري جهلاً أدى إلى اضطراب الممارسة الإيمانية .

ثانياً : عدم توفر التدريب الإيماني الضروري على قواعد الإيمان في حياة المسلم ، من خلال مدرسة الإسلام ، وما يقوم فيها من علم منهجي ، ومراقبة صادقة واعية ، وتوجيه إيماني قادر .

إن فقدان هذين العنصرين ، هيأ لكثير من النفوس أن تتفلّت في متاهات مظلمة ، تفرضها مصادر متعددة ، دون توفُّر القدرة على التحكم والمراقبة والتوجيه ، إلا رحمة من الله ...!

إن الهداية من الله سبحانه وتعالى . فله الأمر كله ، وإليه ترجع الأمور . ولكن الله سبحانه وتعالى كلَّف الإنسان في حدود وسعه أمانة ومسئولية ، واستخلفه في هذه الحياة الدنيا لينهض إلى ممارسة منهاج الله في واقعه البشري ، ممارسة يتخللها الابتلاء والتمحيص من الله سبحانه وتعالى . ومع أن الهداية من الله سبحانه وتعالى ، وله الأمر كله ، وإليه ترجع الأمور ، إلا أننا نعرض دور الإنسان ومسئوليته في أداء الأمانة ، ورعاية حق الاستخلاف ، أداء ورعاية يقودان المؤمن إلى الثبات في شدة الابتلاء ، وغمرة التمحيص . ونعرض ذلك كله من خلال المنهاج الرباني ، وما حدَّده ورسمه لدور الإنسان ، ومسئوليته وأمانته .

ولأهمية هذا الموضوع نود أن نعود فنوجزه بنقاط رئيسية :

* إن لفظة (ولاء) ومشتقاتها تحمل في اللغة معاني بيناها في مقدمة البحث . ومنهاج الله يعطي هذه المعاني ظلالها وامتدادها في حياة الإنسان من خلال عقيدة وإيمان ، وأحكام وتشريع ووقائع وأحداث .

* إن (الولاء) في حياة المؤمن يكون أولاً ولاء خالصاً لله سبحانه وتعالى ولاء يحرك العاطفة والشعور ، والفكر والتصور ، والنية والرغبة ، والعمل والسلوك .

* والولاء لله سبحانه وتعالى هو ولاء ممتد في الحياة الدنيا والآخرة .

وهو ولاء يحمل ظلال جميع معاني كلمة (الولاء) وامتدادها من عاطفة وحب لايعلوه حب أبداً .

وخشية لله دونها أي خشية .

وعبودية مطلقة لله رب العالمين ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد .

وعهد وميثاق مع الله رب العرش العظيم .

وبيعة كاملة لله العلي القدير .

وسمع وطاعة كاملين لله العليم الحكيم .

وتوكل على الله العزيز الرحيم .

ويرتبط الولاء لله سبحانه وتعالى مع كل عناصر الإيمان والعقيدة ارتباطاً كاملاً حتى يهب هذا الولاء للمؤمن أمناً وطمأنينة وسكينة .

ويهب ثقة بأن النصر من عند الله وحده ، وهو الولي الحفيظ .

وأن الملك كله لله .

وأن الله هو الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

وأن الله هو العليم الخبير . وله الأسماء الحسنى كلها .

* ومن هذا الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى ، ينشأ ويصدر أي ولاء آخر في الحياة الدنيا بين المؤمنين من خلال ممارسة إيمانية لمنهاج الله في الواقع البشري ، ممارسة تقوم على الإيمان ، والعلم بمنهاج الله وبالواقع البشري ، في حدود كل مؤمن ووسعه ، وفي حدود مسئوليته وأمانته . ومن العهد والميثاق مع الله سبحانه وتعالى ينشأ كل عهد وميثاق آخر في الحياة الدنيا من خلال هذه الممارسة الإيمانية . وكذلك تنشأ كل بيعة وكل سمع وطاعة .

ومن هذا الولاء الخالص لله سبحانه وتعالى تتحدد العلاقات والروابط في الحياة الدنيا :

- تنشأ وتتحدد أخوة الإسلام والولاء بين المؤمنين ليكونوا أمة واحدة في الأرض .

- ينشأ بر الوالدين .

- تنشأ صلة الرحم والمودة في القربى .

- ينشأ الجوار ، والصحبة .

- ينشأ السكن والمودة والرحمة بين الزوجين .

- ينشأ العهد والميثاق مع أولي الأمر ، والبيعة والسمع والطاعة .

وبذلك كله وصلات أخرى ينشأ الولاء بين المؤمنين ، والولاء للوالدين والرحم والقرابة وينشأ الولاء كله في الحدود التي رسمها منهاج الله .

* ومن هذا الولاء تنشأ وتحدد جميع الروابط الإنسانية في ظل التعارف والتعاون ، بين الأفراد والشعوب ، على البر والتقوى ، مادامت هذه الروابط لاتصطدم بقاعدة من قواعد الإيمان . فإذا حدث اصطدام مع الإيمان ، أو ظهر كفر وإلحاد ، من خلال رعاية أي رابطة من هذه الروابط الإنسانية ، فإنها تتعطل وتتوقف وتنقطع . فلا ولاء لكفر أبداً ، ولا ولاء لعدوٍّ لله .

* وقد ينحرف بعض الناس فيتخذون أولياء من دون الله فيخرجون بذلك عن حدود الإيمان . وقد يتخذون أولياءهم من أصناف شتى ونماذج متعددة :

(أ) الهوى .

(ب) الشيطان .

(جـ) من أقرباء أو أصدقاء ، من أهل قوة وسلطان ، أو أهل مال وغنى ، أو أهل علم . أنماط شتى من البشر ، ينزلهم بعض الناس منزلة (الأولياء من دون الله) ، فيحبونهم حباً كحب الله ، ويسمعون لهم ويطيعون في غير ماشرع الله . وهذا الولاء المنحرف الضال يمثل نهجاً في حياة هؤلاء الضالين ، نهجاً ماضياً في حياتهم ، مستمراً ، يرسم لهم السلوك كله ، ويحدد لهم المواقف كلها ، إنه لايمثل خطأ يعود عنه المؤمن ، أو زلة يتوب عنها الصادق ، أو اجتهاد أجازه شرع الله .

(د) أولياء من الظالمين . فالظالمون بعضهم أولياء بعض .

(هـ) أعداء الله من كافرين ، ومشركين ، ومنافقين ، وأهل كتاب .

لذلك جاء النهي قاطعاً ، جازماً ، حاسماً ، عن اتخاذ أيِّ وليٍّ من دون الله . نهياً لايترك مجالاً لحيرة أو شك أو تردد .

* إن من أهم أسباب اضطراب (الولاء) في حياة المسلمين أمرين :

(أ) الجهل بمنهاج الله ، أو الجهل بالواقع البشري ، أو الجهل بهما معاً .

(ب) عدم توفر التدريب الإيماني على قواعد الإيمان ونهج القرآن في حياة المسلم . فقد يتوافر العلم ولكن تهبط القدرة عن مستوى الممارسة الإيمانية السليمة .

٧ – لقاء يمثل أمة واحدة ودعوة واحدة :

عندما تتجمع هذه الخصائص العظيمة في درب اللقاء ، فإنها تكون بشكل بيِّن واضح ، أمة واحدة ودعوة واحدة . وإذا اضطربت أو وهنت إحدى هذه الخصائص فإن الأمة تضطرب إن عاجلاً أو آجلاً ، على قدر اضطراب هذه الصفة أو تلك ، حتى لاتكاد تمثل أمة واحدة ، ودعوة واحدة .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

إن هذا النص القرآني ليثبت هذه الحقيقة الهامة في القلب، والنفس، والفكر، في الحس والشعور. حتى ينقطع الجدل حول تعريف الأمة على أساس القومية، أو الإقليمية، أو الوطن أو الجنس. إن هذا نص قرآني لايترك مجالاً لريبة أو شك، فهذا هو تعريف الأمة، وهذا هي خصائصها.

إنها أمة اختارها الله، وحدد خصائصها. فليس لأحد من البشر أن يتجاوز حده، فيحاول أن يضع من عنده تعريف الأمة الواحدة، والدعوة الواحدة. إلا أن تكون أمة غير أمة الإيمان، فإنها عندئذ أمم شتى ونماذج متنوعة.

وهذه الأمة ليست أمة على هامش التاريخ، تضيع في زحمة أمم أخرى. إنها أمة متميزة بكل روابطها، بموافقتها، إنها أمة تحمل رسالة، تنهض لمهمة، وتمضي لمسئولية الأمانة والاستخلاف.

إنها أمة واحدة عبر التاريخ كله. إنها متصلة منذ آماد بعيدة في التاريخ. إنّها أمة واحدة بدأت مع الدعوة الإسلامية في الأرض، مع رسالة الله، مع أول رسول وأول بلاغ.

إنها أمة واحدة متصلة في مستقبل الإنسان كذلك، وليس في ماضيه فحسب. فإنها أمة قائمة في كل لحظة من لحظات التاريخ، ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً، إنها أمة ممتدة بعيداً بعيداً في مستقبل الإنسان، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إنها أمة محددة الخصائص، مميزة السمات، بينة الملامح. إنها أمة الإسلام ودعوة الإسلام ...! هكذا سماها الله في كتابه العزيز.

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨]

إنها إذن ليست أمة واحدة فحسب . ولكنها أمة دعوة ...!

(وجاهدوا في الله حق جهاده ...) .

إنه جهاده في كل باب يطرقه المؤمن طرقاً قوياً ، وهو يحمل أمانته ورسالته .

إنه جهاد يطرق كل ساحة وكل ميدان جهاد يستوعب كل طاقة العبد المؤمن ، ويفرغ فيه المؤمن كل وسعه وقدرته . إنه جهاد الدعوة إلى الله ، لإقامة دينه في الأرض ، وإعلاء كلمته . إنه جهاد الدعوة إلى الله بالكلمة والجهد والسعي ، بالمال والثروة ، باللقاء ، والتنسيق والتجميع ، جهاد البيت والمعهد ، والأدب والشعر ، والمال والاقتصاد ، والسياسة والاجتماع ، والعلوم كلها ! جهاد الدعوة إلى الله بكل هذا وبكثير غيره ، جهاد بالسلاح ! جهاد بالنفس ! جهاد بالمال ! جهاد بالوقت !

إنها أمة المسلمين ودعوة الإسلام اجتباها الله : «**هو اجتباكم...**» إنه أمر الله واختيار الله ! إنها ليست صياغة بشرية ولا اختياراً بشرياً . إنها ملة أبينا إبراهيم...! لتكون هذه الأمة العظيمة شاهدة على الناس بقوتها ، وسلطانها ، وعلمها ، ودعوتها إلى الله . وليكون الرسول ﷺ شهيداً عليها . فهو رسولها ، وقائدها ، وهو الداعي إلى الحق ، وهو القدوة إلى يوم الدين !

هذه هي الأمة الواحدة والدعوة الواحدة . لها رب واحد ، ودين واحد ، ولها اسم واحد تذوب كلها فيه . وقد يحمل هذا التجمع أو ذاك . هذه التسمية أو تلك ، لتمثل صورة من صور الجهاد ، أو لوناً من ألوان الدعوة ، أو خاصية من خصائص لقاء المؤمنين . ولكن أمة الإسلام ، ودعوة الإسلام ، أمة الإيمان ، ودعوة الإيمان أمة القرآن ، ودعوة القرآن ، هي أسماء ربانية جمعت كل الخصائص وكل الصور وكل الألوان !

لايتعارض هذا أبداً مع وجود شعوب متعددة ، وألوان مختلفة ، ولهجات متباينة . ولكن هذا كله لايكون أساس لقاء ، ولا قاعدة دعوة ، ولا رباط أمة . إن

الشعوب والألوان واللهجات تذوب كلها في دعوة واحدة، ولقاء واحد، لتكون الأمة الواحدة.

وإنه الابتلاء والامتحان، وإنه الأمانة والاستخلاف، وإنه العبودية والإيمان، أنيطت هذه كلها بالإنسان، ليتجاوز كل هذه الحواجز والعقبات، ويعلو فوق كل هذه الرغبات، ويكبح كل هذه النزعات، حتى يذوب في عقيدة وإيمان وينصهر في أمانة وعهد، ويشرق في لقاء ودرب. فلا تصده القرابة، ولا الإقلمية، ولا القومية، ولا اللون أو الجنس ولا اللغة أو اللهجة ...! فإذا تجاوز هذا كله، وعلا عليه كله، من خلال إيمان وعقيدة، فقد صدق اللقاء، وقامت الأمة، وامتدت السبيل.

ويمضي منهاج الله يحدد خصائص الأمة وسماتها، في آيات وأحاديث، حتى نراها مشرقة في التاريخ البشري، مضيئة لتُزِيح ظلمات الجاهلية، صانعة وحدها حضارة الإنسان! كل الإنسان.

إنها هي الأمة الوحيدة التي تصنع (حضارة) الإنسان، إذا صحت هذه التسمية (الحضارة). ولولا هذه الأمة الممتدة في التاريخ ماضياً ومستقبلاً لما بقي في الأرض خير ينعم به الإنسان. والحضارة التي نعنيها ليست حضارة الغواني والفساد، أو اللهو والغواني، أو الهوى والرغبات، حضارة تقوم على أنين الضحايا، وصراخ الأطفال الضائعين، والمساكين الجياع، أو اليتامى والضعفاء. إنها ليست هذه الحضارة التي نعنيها، مهما ارتفعت المباني، وامتدت القصور، وفرهت السيارات، وانطلقت الصواريخ، مهما امتد العلم البشري ومهما عظم.

إن الحضارة التي نعنيها هي الحضارة التي توفر للإنسان، أمنه في حياته، وأمنه في نفسه، وأمنه في عشيرته، وسعادة في قلبه، ودرباً يمضي به، يُنَمِّي فيه طاقاته وقدراته، وهو يتخذ مما سخر له الله في السماوات والأرض، آيات بينات، خَيراً يُحقِّقُ له الأمن والسعادة، والوفاء بالعهد الموثق مع الله، ومع الأمانة

والاستخلاف . فتصبح المباني والسيارات والصواريخ وسائل خير ونعمة للإنسان ، لاتشوبها قسوة الوحوش ، ولا تُقطِّعها أنياب الضواري ، ولا تُبدِّلها شهوات الجنون إلى كفر وإلحاد . إن كل (حضارة) فاسدة شريرة ماضية إلى الزوال . وإن الخير وحده هو الذي يمكث ثابتاً نامياً . إن الله يضرب الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض :

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد: ١٧]

إنه الحق إذن ! إنه هو الذي يمكث في الأرض ، ويمضي مع الإنسان ، ممتداً مع جميع العصور . ولكن الزخارف تنهار ، والمباني تسقط . فأين عاد وما بنوا ! وأين روما ! وأين أثينا ! وأين فرعون .! أمثلة بينة يضربها لنا القرآن الكريم ، فلا نرى من ذلك الباطل إلا بقايا ليتذكّر من يتذكر !

وإنها أمة الإسلام وحدها هي التي تحفظ هذا الخير في الأرض بأمر الله ، وتصون الحق بأمر الله . مهما قل عدد هذه الأمة ، فإن الأمانة في عنقها على مدار التاريخ . واستمع إلى آيات الله .

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٦، ١١٧]

إنه (**لقاء المؤمنين**) الذي ينهى عن الفساد في الأرض ، إنها الأمة الواحدة والدعوة الواحدة .

إنها أمة واحدة . وما أعظمها من لفظة ، وما أجمل ظلالها وما أوسع معانيها :

الوالدة ، الجماعة المترابطة ، الرجل الجامع لخصال الخير ، الدين ، الطريقة والنهج ، الحين والمدة ، القامة ، مظهر الوجه من الحُسن ! هذه المعاني والظلال تذوب كلها في لفظة أمة . «... **وإن هذه أمتكم أمّة واحدة....**» تحمل أنداء التاريخ . ونهج النبوة ، ورباط العقيدة ، وامتداد الأجيال ، ومظهر الخير والحسن ، والقيام بالأمانة والعهد ! .

لكنها مسئولية الإنسان أن ينهض لأمانته واستخلافه وعهده ، ليحقق ببركة النهج وعظمة التنزيل ، حقيقة الأمة في الواقع البشري ، كما أرادها الله سبحانه وتعالى ، لا كما تصورها الأحلام ، وتصوغها الأهواء ، وتزخرفها المصالح ، وتدفعها التكتلات !



الباب الثاني

الايمان والعهد

مقدّمــة

الفصــل الأول

إن العمل الإسلاميَّ يحمل في تاريخه الطويل زاداً عظيماً من الخبرة والتجربة ، سواء أكان ذلك في مراحل القوة والنماء، أم مراحل الضعف والوهن .

وقد تعددت التجارب والمحاولات في مسيرة طويلة بعد انقطاع الوحي ، وانتقال محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وهو خاتم النبيين والمرسلين ، وظهرت من خلال تلك التجارب والمحاولات عيوب وأخطاء . ولكن الجهود لم تنهض لتجمع هذه المسيرة في دراسة إيمانية واعية تضع تجربة جيل في خدمة جيل آخر . ولم يتطور العمل الإسلامي إلى قواعد منهجية تساعد على تجنب الخطأ والزلل ، وتنأى به عن التعثر والانحراف .

ولكن القرآن الكريم عرض الدعوة الإسلامية منذ أول ظهورها حتى لحظة انقطاع الوحي ، عرضاً ربانياً متميزاً ، يقدم للبشرية كلها زاداً عظيماً ، يبرز من خلال عرضه : القوة والضعف ، والخطأ والصواب ، والزلل والنهوض ، والانحراف والاستقامة ، ويبين بركة التجربة ، وخير المسيرة ونمو الدعوة . وبذلك يستطيع لقاء المؤمنين أن ينهج هذا النهج في مسيرته الطويلة ، يجمع التجربة والخبرة ، ويصوغها زاداً بعد زاد ، يقدمه للأجيال ، جيلاً بعد جيل ، حتى تنمو التجربة وتزداد الخبرة وتتجمع القوة .

وأول مايجب الحرص عليه ، خلال هذه المسيرة ، وخلال هذا اللقاء ، وخلال المحاولة والتجربة ، وأول مايجب الالتفات إليه ، هو أن يكون منهاج الله - **قرآناً وسنة ولغة عربية** - ، مصدر الفكر والتصور ، والإيمان والعقيدة ، ومصدر العمل ، وميزان الأمور . وأن يظل هذا المنهاج الرباني في كل جيل معيناً خالصاً يستقي منه المؤمنون قواعد البناء والتكوين ، والحركة والتنظيم ، والنهج والتخطيط . إن الدعوة الإسلامية هي دعوة ربانية ، فلابد أن تكون مصادرها ربانية كذلك . ومن

خلال التربية والتدريب ، والإعداد والتكوين ، يصبح المنهاج الرباني مصدر ذلك كله ، للفرد المؤمن والجماعة المؤمنة ، على أساس من الإيمان الذي لايشوبه نفاق ، والعلم الذي لايُحَرِّفه التأويل .

على الدعوة الإسلامية أن تحمل هذا التصور في كل خطوة من خطواتها ، وكل مرحلة من مراحلها ، لاتتفلت منه أبداً ، حتى توفر عاملاً قوياً يخفف عنها أثر الضغوط البشرية ، وعوامل الهوى ، ويساعدها على تجنب المزالق والمتاهات .

وقبل ذلك كله يظل الإيمان الصادق ، والتقوى الخالصة ، والرجاء المتصل بالله ، نوراً يضيء الطريق ، وبرهاناً يثبت القلوب :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩]

الفصل الأول

الإيمـــــان

١ - العقيدة والتوحيد :

(١ - أ) نشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، بلغ الرسالة عن ربه وبينها وأدى الأمانة ، وكان خاتم النبيين والمرسلين . أرسله الله إلى الناس كافة .

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨]

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ .... ﴾ [المائدة: ٦٧]

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .... ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

(١ - ب) نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عندما جاءه جبريل في صورة رجل يسأله ليعلم الناس أمور دينهم قال :

«فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» [أخرجه مسلم][1].

(١) صحيح مسلم : ١/١/٨ ، ١/١/٩

(١ – جـ) نؤمن أن كل ماجاء به محمد ﷺ ، منزل من عند ربه ، قرآناً وسنة ، هو منهاج رباني متميز من كل مايمكن أن يضعه البشر .

وهو حق كله . كامل مطلق لاباطل معه ، وهو منهاج رباني متكامل ، صالح للناس أجمعين من كل جنس ولون ، وفي كل جيل وعصر ، وفي كل أرضٍ ومصر، صالح لهم ولايصلح لهم سواه ، يعالج مشكلات البشريّة كلّها في كل واقع وزمان ومكان .

وهو نور وهدى ، وموعظة وشفاء ، ورحمة وبرهان . وهو معجز للإنسان والجن . ولكنه مع إعجازه ميسر للذكر على القلوب المؤمنة . وقد أنزله الله لساناً عربياً . وتعهد الله بحفظه ، **وجعل له مفتاحين يعملان معاً لا يُغني أحدهما عن الآخر** ، من أجل تدبُّر كتاب الله ، هما : **صدق الإيمان واللغة العربية** :[1]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ... ﴾ [النساء: ١٧٠]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾ [النساء: ١٧٤]

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ [الإسراء: ٨٢]

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء: ٨٨]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر: ٩]

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ [فصلت: ٣]

﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴾ [المائدة: ٣]

وآيات أخرى كثيرة .

---

(١) يراجع كتاب : حتى نتدبّر منهاج الله .

(١ - د) نؤمن أن على كلّ مؤمن أن يأخذ العقيدة والتوحيد، والإيمان والفكرة، والنهج والأسلوب ... من المنهاج الرباني مصدراً أساسياً لذلك كله. كل قدر وسعه الصادق لا وسعه الكاذب، وقدر وطاقته، وقدر مسئوليته وأمانته. وأن يكون الأخذ صحبة عمر وحياة أخذاً منهجياً، ونؤمن أنه إذا وقفت أمام المؤمن صعوبات وأعذار تحول دون ذلك، فعليه أن يتخطى ذلك كله قدر وسعه الصادق وطاقته.

﴿ .... فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ... ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال:

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بها: كتاب الله وسنة نبيه».

(رواه مالك في الموطأ، ومسلم في باب الحج، وأبو داود في باب المناسك)[١]

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: **«وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد. فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»** (رواه أبو داود والترمذي)[٢]

٢ - الدراسة والتدبر:

(٢ - أ) نؤمن أن الناس مكلفون بدراسة المنهاج الرباني وتدبُّره: تلاوة وقراءة ووعياً وحفظاً، ليكون أساس كل علم. والناس مكلفون بذلك كل قدر وسعه وطاقته، وأمانته ومسئوليته.

---

(١) موطأ مالك: رقم: ١٦١٩.
(٢) أبو داود: ٣٤/٦/٤٦٠٧، الترمذي: ٤٢/١٦/٢٦٧٦.

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾
[النساء: ٨٢]

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦]

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١]

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله «**العلم ثلاثة : آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وما سوى ذلك فهو فضل**» .
(رواه أبو داود وابن ماجه)(١)

(٢ - ب) نؤمن أن دراسة المنهاج الرباني وتدبره هي مهمة حياة وصحبة عمر بالنسبة للفرد المؤمن . وهي مهمة أجيال ممتدة حتى قيام الساعة بالنسبة للأمة كلها .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقالها** » (أحمد الشيخان)(٢)

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » . (رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه)(٣)

«عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لا حسد إلا في اثنتين :**

---

(١) أبو داود : ١٣/ ١/ ٢٨٨٥ ، ابن ماجه : المقدمة : ٨/ ٤٢ .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٢٩٥٦) عن أبي موسى رضي الله عنه .
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم : ٣٣١٩) عن علي وعثمان رضي الله عنهما الترمذي : (رقم : ٢٩٠٩ ، ٢٩٠٧) عن علي وعثمان رضي الله عنهما .

رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » . (أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه)(١)

والآيات والأحاديث السابقة ، وآيات وأحاديث أخرى في منهاج الله تؤيد هذا .

(٢ - جـ) نؤمن أن الله سبحانه وتعالى أنزل المنهاج الرباني على عبده ورسوله محمد ﷺ حقاً كاملاً للناس كلهم والعصور كلها . ولقد منَّ الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولاً منهم ليبلغ رسالة ربه آيات وحكمة .ويبينها بالتبليغ والشرح والممارسة والتطبيق . ولذلك كانت سيرة الرسول ﷺ النموذج الأمثل لممارسة منهاج الله في واقع بشري . ذلك أن الوحي كان ينزل فيصحح ويقوم رأياً أو موقفاً . وقد ترك الرسول ﷺ صحابة أبراراً وأئمة كباراً وعوا منهاج الله وتدربوا على تطبيقه في مدرسة النبوة ثم جابهوا أحداث الحياة وسنن الله في الكون بعد وفاة رسولهم ﷺ ، فنهضوا إلى ممارسة إيمانهم ومنهاج ربهم في واقع بشري جديد يجابه أحداثاً جديدة ، فسلكوا لها سنة نبيهم . وبذلك تصبح سيرة الرسول ﷺ وحياة الصحابة مصدرين يساعدان على فهم منهاج الله وعلى حسن ممارسته في كل واقع بشري جديد . وكذلك تكون جهود الأئمة الصالحين نماذج أخرى لممارسة إيمانية تساعد على فهم منهاج الله ، لتتصل الممارسة وتمتد . ولكن جهود الصحابة والأئمة بعد انقطاع الوحي ترد إلى منهاج الله ويظل منهاج الله وحده يمثل الحق المطلق للبشرية كلها .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٦٤]

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم : ٧٤٨٨) . عن ابن مسعود رضي الله عنه .

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ [التوبة: ١٠٠]

٣ – دراسة الواقع وفهمه :

نؤمن أن المؤمنين مكلفون بدراسة الواقع البشري الذي يعيشونه كل قدر وسعه الصادق وطاقته ، ومسئوليته وأمانته ، لتوفِّر الدراسة مايحتاجه المؤمنون من حيطة وحذر ، وليتمكنوا من حسن تطبيق منهاج الله في الواقع البشري تطبيقاً واعياً وممارسة إيمانية ، وليتيسّر لهم حسن النهج والتخطيط ، ولتكون دراسة الواقع مصدر آية واعتبار يغذي الإيمان وينميه . ولَتبْنِيَ دراسة الواقع من خلال منهاج الله الوعي الإيماني المتميز .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) ﴾ [الحجر: ٧٥]

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .... ﴾ [البقرة: ١٤٣]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .... ﴾ [الحجرات: ١٣]

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٠٦]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا .... ﴾ [النساء: ٩٤]

قال رسول الله ﷺ « .. المؤمن كيّس فطن حذر وقاف لايعجل» .

(رواه الديلمي والقضاعي بسند حسن غريب)

٤ – الممارسة والتطبيق : (العمل الصالح) .

(٤ – أ) نؤمن أن تطبيق منهاج الله هو التزام عملي بنصوصه وأحكامه على أساس من صدق الإيمان والتقوى ، صدق العلم ، الخبرة والمران ، والموهبة

والطاقة. كل قدر وسعه وطاقته وقدر أمانته ومسئوليته. هذه الخبرة تمثل زاداً من الخبرة والعلم ينمي الإيمان. وتظل هذه الخبرة تنتقل من جيل إلى جيل لتعطي نمواً في الممارسة البشرية لمنهاج الله. وينمو الإيمان والعلم والممارسة لمن شاء الله له ذلك:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩]

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧]

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ... ﴾ [مريم: ٧٦]

﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ .... ﴾ [الزمر: ٩]

﴿ ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ... ﴾ [المجادلة: ١١]

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا .... ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: ٤]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .... ﴾ [النور: ٥٥]

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**» (أخرجه الشيخان وأبو داود وابن ماجه)[١]

عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنما الأعمال بالنيات...**) (متفق عليه)[٢]

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم: ٥٩٧٠).
(٢) مسلم: ٣٣/ ٤٥/ ١٩٠٧، البخاري: ٢/ ٤١/ ٤٥.

(٤-ب) إن العمل الصالح هو ممارسة منهاج الله في واقع الحياة دون تأويل للنص يؤدي إلى الخروج عن قاعدة إيمانية ، أو معارضة نص آخر ، أو مخالفة قاعدة لغوية . وتطبيق منهاج الله هو كذلك استخراج الحلول الإيمانية واستنباطها للقضايا المتجددة في حياة البشرية ، وتنظيم الحياة الإنسانية المتطورة في كل عصر ، واستنباطاً وتنظيماً نابعاً من فهم منهاج الله وفهم الواقع ، مصحوباً بالبينة والدليل ، خالياً من المحْدَثات والبدع .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) ﴾

[آل عمران: ٧]

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ [التوبة: ١٠٥]

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف: ١١٠]

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢) ﴾ [طه: ١١٢]

ولقد سبق حديث رسول الله ﷺ عن أبي نجيح العرباض بن سارية . وكذلك الآيات والأحاديث السابقة ينهض معظمها دليلاً على هذه القضية .

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما »** . (رواه مسلم)

(٤ - جـ) إن تطبيق منهاج الله أو الممارسة الإيمانية أو العمل الصالح لاينحصر في ميدان واحد من ميادين الحياة . ولكنه يمتد إلى كل ميدان وكل نشاط.

والمؤمن مكلف أن يمارس إيمانه ويطبق منهاج الله في كل أمور حياته دقها وجلها . والجماعة كذلك والأمة . والعمل هذا كله عبادة .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾ [آل عمران: ٣٠]

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [الذاريات: ٥٦]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر: ١٨]

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** » . (متفق عليه)[(١)]

والآيات السابقة والأحاديث تؤيد هذا أيضاً .

فلا ينحصر تطبيق منهاج الله في الوضوء والطهارة ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة والحج ، فهذه أركان الإسلام . ولكن الفقه الإسلامي يجب أن لاينحصر فيها ، بل يجب أن يمتد ويتسع مع امتداد الميادين واتساعها ، وامتداد العصور وتطورها ، فمنهاج الله يتسع لكل ذلك . والواقع البشري ممتد كذلك ومتطور ، وعلى أساس منهاج الله والواقع البشري الذي ندرسه من خلال منهاج الله تقوم الممارسة الإيمانية ، والتطبيق ، والفقه .

(٤-٢) إن أحداث الحياة الدنيا وقضاياها متجددة لاتدخل تحت حصر إنها من كلمات الله . ولكن منهاج الله يستوعبها كلها إلى يوم القيامة . وتظل مسئولية الإنسان أن يستنبط الحلول لهذه القضايا المتجددة في حياة الإنسان من منهاج الله على الأسس التي سبق عرضها . وهنالك قضايا يكون الفرد المؤمن مسئولاً عنها وعن استنباط الحلول وتحديد المواقف لها . وقضايا أخرى تخرج عن حدود وسعه وطاقته ، أو عمله وخبرته ، أو مسئوليته وأمانته ، فيردها إلى أولي الأمر من أهل

---

(١) مسلم : ٣٠/٨/١٧١٨ ، البخاري : ٩٦/ ٢٠/ ٧٣٥٠ .

السلطان أو أهل العلم والاختصاص . وتظل هذه الممارسة جهوداً بشرية كلها معرضة للخطأ والصواب . ولكن الخطأ لا يعطل مسئولية ولا يوقف ممارسة إذا صح الإيمان والعلم والوسع في دائرة الاجتهاد . وإذا صحت الاستفادة من الخطأ فإنّه يكون مدرسة تصحح وتقوم الخبرة والتجربة ، وتصحح النية بالتوبة والأوبة ، لتنمو الممارسة وتقوى ، ولا يتحول التصحيح إلى تتبع عورات الآخرين .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان: ٢٧]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٣]

عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ أسأله عن البر فقال : «**جئت تسأل عن البر ؟؟**». قلت : نعم . قال : «**استفت قلبك . البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب . والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك** » . (حديث حسن رواه أحمد والدارمي)(١)

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**البر حسن الخلق ، والإثم ماحاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس** » . (رواه مسلم والترمذي)(٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حسن إسلام المرء تركه ملا يعنيه** » (حديث حسن رواه الترمذي)(٣)

﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]

---

(١) أحمد : الفتح الرباني : ج١٩/ كتاب ٥٩/ ص : ٣٣ .
(٢) مسلم : ٤٥/ ٥/ ٢٥٥٣ ، الترمذي : (رقم : ٢٣٨٩) .
(٣) الترمذي : (رقم : ٢٣١٧) عن أبي هريرة . وقال عن حديث حسن .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢]

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣]

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» (رواه الترمذي والحاكم)(١)

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت تفسدهم**». (رواه أبو داود بسند صحيح)(٢)

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**». (رواه مسلم)(٣)

(٤ - هـ) إن استنباط الحلول للقضايا المتجددة قد يولد خلافاً في الرأي ونرى أن الله قد جعل للمؤمنين سعة في هذا الخلاف، مادامت الحلول صادرة كلها عن منهاج الله مصحوبة بالدليل والبينة، دون تأويل يؤدي إلى معارضة نص أو مخالفة قاعدة لغوية. وما دام الخلاف لايؤدي إلى فتنة وشقاق. وإلى فرقة ونزاع. وتظل هذه الجهود جهوداً بشرية ترد دائماً إلى منهاج الله. والخلاف في

---

(١) الترمذي: (رقم: ٣٤٩٥).
(٢) أبو داود: ٣٥/ ٤٤/ ٤٨٨٨.
(٣) الترمذي: (رقم: ١٣٢٦) عن أبي هريرة، مسلم: ٣٠/ ٦/ ١٧١٦.

الرأي لاينقض عهداً . ولايسقط مسئولية ، ولايبطل سمعاً وطاعة إذا استوفي الرأي أو الموقف شروطه الشرعية مع توافر البيّنة والدليل والحجة من الكتاب والسنة .

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ [الشورى: ١٠]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾ [النساء: ٥٩]

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) ﴾ [الرعد: ٢٠، ٢١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله . ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصا أميري فقد عصاني** » «رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه»[1]

عن أبي ذر رضي الله عنه قـال : « **إنّ خليلي ﷺ أوصـاني أن أسـمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف** » . (رواه مسلم)[2]

وعنه قال قال رسول الله ﷺ : «**اسمعوا وأطيعوا وإن أمِّر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**» (رواه أحمد والبخاري وابن ماجه)[3]

---

(١) مسلم : ٣٣/ ٨/ ١٨٣٥ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته : (رقم ٦٠٤٤) .
(٢) مسلم : ٣٣/ ٨/ ١٨٣٧ .
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم : ٩٨٥) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية**» .

(رواه أحمد والشيخان)(1)

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤ ﴾ [الشورى: ١٣، ١٤]

(٤ - و) على أساس هذا التصور نفهم جهود أئمة المسلمين في مختلف العصور وهم يستخرجون الحلول والقواعد ، ويستنبطون الأدلة والأحكام . فهي جهود بشرية في تطبيق منهاج الله في هذا الواقع أو ذاك ، وفي هذا الميدان أو ذاك . وهي جهود مباركة إن شاء الله تساعد على فهم منهاج الله وبعض طرق الممارسة الإيمانية ، ولكنها لاترقى إلى مستوى منهاج الله . ونؤمن أن مثل هذه الجهود يجب أن تظل مستمرة في حياة المسلمين على الأسس التي سبق عرضها : **الإيمان والتقوى ، العلم والخبرة والممارسة الإيمانية ، والوسع والطاقة والموهبة ، الأمانة والمسئولية** ، حتى يعرف كل مؤمن حدوده ومنزلته ، ووسعه وقدره ، ويعرف منازل الناس ، فلا يدفعه الغرور إلى **تجاوز حدوده فيثير فتنة** ، ولا **يدفعه الكسل إلى أن يكون إمعة** .

والآيات والأحاديث السابقة بينة على هذا .

(٤ - ز) نؤمن أن منهاج الله لايؤخذ جزء منه ويترك جزء ، ولكن يؤخذ كله على تكامله وتناسقه ، ليحكم بذلك في جميع القضايا ، ويؤخذ متكاملاً في الدراسة والتدبر وفي الممارسة والتطبيق . فمنهاج الله يعرض القضية ، الواحدة في أكثر من موقع وأكثر من سورة ، يعرضها في كل مرة من خلال عقيدة وإيمان ،

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم : ٦٢٤٩) .

ومنهاج رباني، حتى تأخذ القضية تكاملها بترابطها مع الآية والآيات في السورة، ثم مع السورة كلها، ثم مع القرآن كله. وفي كل مرة تكتسب القضية عمقاً أبعد، وتناسقاً أشد، حتى تصبح القضية معروضة من كل جوانبها، ومع كل ظلالها وأبعادها، بصورة معجزة كل الإعجاز.

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾ [البقرة: ٨٥]

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾ [المائدة: ٦٧]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر: ٩]

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) ﴾ [المائدة: ٤٩]

٥ - مع واقعنا اليوم:

(٥ - أ) نؤمن أن المسلمين في الأرض يجب أن يكونوا أمة واحدة. وهم أمة واحدة عبر التاريخ كله. فلهم رب واحد، ورسالة سماوية واحدة، وختم الرسل والأنبياء كلهم بمحمد ﷺ، وجاءت رسالته مصدقة لما بين يديها من الكتاب ومهيمنة عليه.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [الحجرات: ١٠]

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » . (رواه أحمد والشيخان)(١)

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ... ﴾ [المائدة: ٤٨]

(٥ - ب) نؤمن أن قوى الكافرين والمشركين والمنافقين ومن أعانهم من أهل الكتاب قد أعملوا يد الفرقة بين المسلمين عبر التاريخ ، وقد بلغوا اليوم في كيدهم هذا مدى بعيداً وأصابوا نجاحاً كبيراً ، مُسْتَغِلِّين في تخطيطهم لذلك :

١ - نواحي الضعف الإنساني .

٢ - جهل المسلمين بمنهاج الله جهلاً كبيراً .

٣ - جهل المسلمين بواقعهم وغفلتهم عما يُكادُ لهم .

يهدفون من ذلك إلى تمزيق المسلمين لإضعافهم ، وردهم إلى الكفر إن استطاعوا . ونشر الفساد بينهم . وإثارة الأهواء والشهوات .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ .... ﴾ [البقرة: ١٠٩]

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً .... ﴾ [النساء: ٨٩]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء: ٤٤، ٤٥]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم : ٦٧٠٧) .

(٥ - حـ) نؤمن أن المنهاج الرباني والواقع الذي نعيشه اليوم يجعل الدعوة الإسلامية واجباً شرعياً على كل مؤمن قادر ، لتكون الدعوة الإسلامية في الأرض دعوة واحدة وصفاً مرصوصاً ، وليتقدم إلى هذا الميدان كل مؤمن قادر يلتزم بدراسة منهاج الله وتدبره وممارسته ، ودراسة الواقع وفهمه من خلال منهاج الله . فتكون هذه الدراسة أساس العلم الذي يتزود به في مسيرته .

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ... ﴾ [النحل: ١٢٥]

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ .... ﴾ [الشورى: ١٥]

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

ومن الآيات والأحاديث السابقة نجد الأدلة على هذا . وكذلك في آيات وأحاديث أخرى كثيرة .

٦ - النهـج :

نؤمن أن هذا التصور الذي عرضناه ضروريّ حتى تستطيع الدعوة الإسلامية أن تضع فقه الحركة والعمل في واقعنا اليوم على أساس منهاج الله والواقع الذي نعيشه ، وعلى أساس من الإيمان والتقوى . والعلم والخبرة والوسع والموهبة ، والأمانة والمسئولية ، والقدرة والاختصاص . وحتى تتقدم الطاقة البشرية المؤمنة ، والمزودة بالعدة اللازمة ، لتضع تفاصيل النهج والتخطيط ، والموقف والاتجاه في الدعوة ، وفي البناء والتكوين ، وفي التجميع والإعداد ، لمجابهة الأحداث مجابهة إيمانية واعية ، في مختلف ميادين الحياة وشئونها : الاقتصادية والسياسية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والإعلامية ، والمحلية ، والدولية ، وغير ذلك من شئون الحياة ، صغيرها وكبيرها . إنَ هذا النهج ، وهذا التصور هو خلاصة ماسبق أن

عرضناه . وبذلك تستطيع الدعوة الإسلامية بإذن الله أن تتجنب كثيراً من المزالق ، وأن تتحاشى استدراجها إلى معارك جانبية ، أو شراك ومتاهة ، أو إلى انحراف وضياع .

٧ - أسباب القـوة :

نؤمن أن الدعوة الإسلامية يجب أن تجمع وتعد أسباب القوة في جميع الميادين ، لتشق طريقها على الصراط المستقيم الذي رسمه الله ، **ولتكون كلمة الله هي العليا** : وأهم أسباب القوة : تغذية الإيمان ، العلم بالمنهاج الرباني والواقع البشري الذي نعيشه ، التدرب على ممارسة قواعد المنهاج الرباني في الواقع البشري ، الطاقة البشرية المدربة على قواعد الإيمان ، والعلوم التخصصية ، المال والاقتصاد ، وسائر أسباب القوة وعتادها .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ... ﴾ [الأنفال: ٦٠]

٨ - أول الواجبـات :

(٨ - أ) نؤمن أن كل مؤمن يجب أن يبدأ بنفسه ، بعد أن هداه الله إلى الإيمان. ليعد نفسه لميادين العمل الصالح . وأن يأخذ نفسه بالمحاسبة والمراقبة والمجاهدة ، على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فما من أحد يغني عن أحد شيئاً يوم القيامة . دون أن تكون هذه المحاسبة مسوِّغاً لقعود أو تراخ ، أو تأويل أو مغالاة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨]

(٨ - ب) أن يعرف المؤمن نفسه ، وحدوده ، وقدره ، ومسئوليته ، وأمانته . فلا يهبط به الضعف إلى التقصير والأعذار ، ولايتجاوز به الغرور إلى الكبر والهوى . وأن يعرف للناس منازلهم لايصدّه عن ذلك منافسة باطلة ، وحسد قاتل، ومنازعة الأمر أهله .

* * * * *

مقدّمة
الفصل الثاني

لقد سبق أن عرضنا في الباب الأول، أن العهد والميثاق من أهم خصائص لقاء المؤمنين.

والعهد والميثاق ليس أمراً بشرياً استحدثه أحد من بني البشر، إنه أمر رباني في كل ناحية من نواحيه، وهو عهد وميثاق بين الإنسان وربه، أخذه الله على خلقه وهم في عالم الذر:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ...﴾ [الأعراف: ١٧٢]

ولايقوم العهد والميثاق بهوى وينقض بهوى. ولا يقوم على مصلحة دنيوية يستمر باستمرارها وينتهي بتوقفها. إنه عهد وميثاق مع الله، وإنه جزء من الإيمان لايتجزأ.

إنه عهد وميثاق مع الله. ولقد كفر الكافرون، وأشرك المشركون لأنهم نقضوا عهدهم مع الله، فكانت عليهم اللعنة، وكانت لهم سوء الدار:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)﴾ [الرعد: ٢٥]

وعهد الله يشمل كل عهد عاهدته باسم الله، وارتبطت به على أساس من دين الله، مع الوالدين والأرحام، والأصدقاء وأهل الحاجات، وفي الزواج، وفي البيع والشراء، والتجارة والاقتصاد، والسياسة، وفي كل ميدان وكل نشاط، ونقض العهد هو إفساد في الأرض وتقطيع للصلات:

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ...﴾ [البقرة: ٢٧]

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]

ولعل من أهم أسباب ضياع المسلمين اليوم وذلتهم أنّهم أضاعوا عهدهم، وبهتت في قلوبهم معالمه، وانحسرت عن نفوسهم قوته، وانطفأت عن عيونهم أنواره.

ولانستطيع، ولايستطيع أحد من الناس، أن يجمع أو يصوغ حدود العهد والميثاق كما صاغها وعرضها منهاج الله، عرضاً ربانياً معجزاً. ولكننا نحاول أن نجمع هنا قدر المستطاع أهم العناصر لتكون عوناً وتذكيراً للمؤمن، ولتكون نقطة الانطلاق، ليعود المؤمن، كل مؤمن، إلى منهاج الله **قرآناً وسنة ولغة عربية،** ليجد هناك الحق الكامل، وليظل منهاج الله مع المؤمن صحبة عمر وحياة، يستمد منه الإيمان والنور والعلم والقوة.

إننا هنا نذكر لعل الذكرى تنفع المؤمنين. ولابد أن نذكر، لأن النسيان غالب والصورة مضطربة، والهوان مريع.

ولانورد في هذا التذكير أدلة من القرآن والسنة، حيث وردت معظم الأدلة في الفصل السابق (الإيمان).

والعهد الذي نقصده هنا هو عهد أمة الإسلام، ودعوة الإسلام، إنه ليس عهد فرقة أو مذهب أو طائفة. إنه عهد الإنسان كله، إنه عهد مع الله يمد سائر العهود باليمن والوفاء والبركة والرضاء.

إن هذا العهد هو عهد الإنسان العبد المخلوق، عهده مع الله ربه وخالقه ومولاه. إنه العهد الذي تنبثق منه سائر العهود، وهو العهد الذي يصوغ سائر العهود ليجعلها مرتبطة بالعهد مع الله، موصولة به قوية العرى. إنه كذلك يبريء سائر العهود من أن تكون عهود طوائف وفرق، وكتل ونحل، انتهى بها المطاف ليكون العهد مع الله فيها شعاراً، والعهد مع البشر رأس العهود، وخاتمة الأمور، في واقع الممارسة والتطبيق. فتنشأ بذلك النحل والطوائف تتحجر على ذاتها،

ترفض ماعداها ، وتحارب سواها ، على أساس من حمية وعصبية ، تنطوي في ظلال شعار أو راية . ويختلف المسلمون ويتفرقون من بعد ماجاءتهم البينات ...!

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ .... ﴾ [البقرة: ١٦٥]

ولفظة **الناس** هنا ولفظة **الأنداد** ، توحيان بالتعدد والاختلاف . وأما لفظة : «**الذين آمنوا**» فتوحي بالطائفة الواحدة التي لها رب واحد ، ودين واحد ، ودعوة واحدة ...! **إنها الأمة المؤمنة الواحدة التي لها عهد واحد** .

ويدور العهد الذي نعنيه حول عناصر الإيمان ، وأسس التوحيد ، كما عرضناه في الفصل السابق . وإننا نعيد عرض هذه العناصر هنا للتذكرة ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

* * * * *

الفصل الثاني

العهد

وينطلق العهد من التزام المؤمن بمحاسبة نفسه ومراقبتها . قبل أن ينشغل بمراقبة الناس وتتبع عوراتهم . فلا يفضح حيث يأمر الله بالستر ، ولايخذل حيث يأمر الله بالعون . ويمضي المؤمن مع عهده ليجاهد من خلال المحاسبة والمراقبة ، ومن خلال العلم بمنهاج الله . والعلم بالواقع ، وكذلك من خلال الممارسة الإيمانية . ليجاهد في نفسه من خلال ذلك كله ، وما يهيئه الله سبحانه وتعالى له من أعوان ، حتى يكون في مواقفه كلها ، وممارسته كلها ، أقرب إلى التقوى ، ليحقق في نفسه خصائص العبودية لله رب العالمين على النحو الذي يستقيه من منهاج الله -**قرآناً وسنة ولغة عربية**- . يمضي ويظل يجاهد في نفسه لينمو إيمانه ، ويزداد علمه ، وتصدق ممارسته . يمضي بعهده مع الله في هذه المحاسبة والمراقبة ، والتربية والإعداد ، مسيرة عمر وحياة ، مسيرة لاتتوقف ولا تتعطل .

يمضي مع عهده في هذه المجاهدة على هدى من القرآن والسنة ، فيكون بذلك أول مسئولياته بعد الإيمان ، أن يعاهد الله سبحانه وتعالى على دراسة منهاج الله قدر وسعه وطاقته ومسئوليته وأمانته ، صحبة عمر وحياة ودراسة منهجية لاتتوقف ، لتكون هذه الدراسة المستمرة مصدر الفكر والتصور ، والعمل والسعي ، والنهج والتخطيط ، والإعداد والتربية . ويستعين في مسيرته هذه بالعلماء الصادقين ، في نطاق اختصاصهم وحدود مسئولياتهم وعلى قدر طاقتهم ، ومستعيناً كذلك بدراسة سيرة الرسول ﷺ وحياة الصحابة ، وجهود الأئمة دون أن تحتل المصادر البشرية منزلة المنهاج الرباني ودوره .

ويمضي وقد عاهد الله على أن يدرس اللغة العربية لأنها لغة الوحي ، ولغة منهاج الله ، وهي جزء منه لايتجزأ ، وخاصة من خصائصه .

وحتى يستكمل المؤمن وعيه وعلمه ودراسته ، يكون التزامه بعقيدته هو الذي

يدفعه إلى دراسة الواقع البشري الذي يعيشه ، قدر وسعه وطاقته ، ومسئوليته وأمانته ، وتكون دراسة الواقع شاملة لدراسة تاريخ الإسلام ، والتخصص العلمي، وفهم الناس ومن يلقاه منهم ... إلخ . وتكون دراسة الواقع محققة للعناصر التالية :

١ - تساعد المؤمن على حسن تطبيق منهاج الله في واقع يفهمه ويعيه .

٢ - يكون حذراً فلا يخدعه خِبّ ولا يستدرج إلى ضلالة وفتنة ، وضياع وتيه.

٣ - تكون هذه الدراسة مصدر تقوية إيمان وتغذية عقيدة ، حيث يرى آية بعد آية ، وعبرة بعد عبرة .

حين ينهض المؤمن هذا النهوض إلى تكاليف الإيمان ، وعهده مع الرحمن ، يدرك أن أساس نجاح عمله كله هو **صدق النية ، والتجرد إلى الله سبحانه وتعالى** . والنية الصادقة في فطرة المؤمن يغذيها العمل الصالح ، والتدريب الواعي ، وكل ماسبق أن عرضناه من **محاسبة للنفس ومراقبة ومجاهدة لها ، ودراسة وتدبر ، وعمل** وسعي ، **ونصح وتعاون ...** ، هذا كله وكثير غيره هو شكل من أشكال التدريب والإعداد . وتنمية الخبرة والزاد .

ومن صدق النية هذه ، تنطلق عزيمة المؤمن جادة غير هازلة . لايسترخي على واهي الأعذار ، وهوان التقصير . فهو ينهض إلى تكاليفه وعهده في جميع الحالات من يسر أو عسر ، رضاً أو غضب ، إقامة أو سفر ... ، قدر وسعه وطاقته التي وهبه إياها ، يبتغي وجه الله والدار الآخرة .

وهو لاينطلق وحده ، ولايمضي على الدرب منفرداً . إنه في أمة وجماعة . إنه في دعوة وبين دعاة . فهو يرتبط مع المؤمنين ، كل المؤمنين برابطة الإيمان وأخوة في الإسلام . رابطة أمر بها الله . وعروة وثقتها العقيدة ، فهو يمارس الأخوة في الله ، بكل ماتحمل من عاطفة وشعور ، ومسئوليات وواجبات ، على الصورة التي يعرضها منهاج الله ، في موازنة أمينة دقيقة .

من خلال صدق النية ، ومتابعة المحاسبة ، والدراسة والتدبر ، والعلم بالمنهاج الرباني والواقع ، من خلال المجاهدة والمراقبة ، من خلال التدريب المتواصل ...، من خلال ذلك كله فهو يعرف حدوده ، ويعرف نفسه ، ويعرف كذلك منازل الناس كما أمر بذلك رسول الله ﷺ . فهو يلتزم مكانه في أمته ، ويسعى جاهداً لأداء مسئوليته وأمانته في إطار جهود منسقة ، لاجهود مبعثرة . فهو لايتجاوز حدوده إلى فتنة يثيرها الكبر والغرور ، ولا يقصِّرُ عن حدوده إلى عجز وضعف وهوان . وإن منهاج الله هو الذي يرسم الوسع والطاقة ، لا الأهواء ، ولا الأحلام ، ولا الأماني ، ولا الغرور ، ولا الكبر . فإذا صدقت نيته ، ، ومضت المحاسبة والمراقبة ، والعلم والدراسة والتدبر ، والمجاهدة والمعاناة في سعي وعمل ، ترتبط مع المؤمنين برباط الأخوة في الله أخوة الإسلام ... ، وإذا عرف حدوده ، واحترم حدود الآخرين ، وإذا وقف على الثغر الذي يحميه ، يدفع من خلاله عن أمته ودينه ودياره ، إذا تم هذا كله ، فهو يبر والديه ، ويسمع لهما ، ويطيع بالمعروف . ويسمع ويطيع لرئيسه ، ويسمع ويطيع لكل من أمره الله بالسمع والطاعة لهم على نور من منهاج الله . ولايبطل عهداً ، ولا جواراً ، ولايقطع رحماً ، ولايفصل عروة ، ولا ينزع يداً من عهد ، إلا أن يرى كفراً بواحاً له عليه من الله برهان ، لايأخذ بالظن والهوى ، ولا بالقيل والقال ، ولابسوء التأويل ، ولا بالظلم والافتراء . وذلك كله في كل ميدان من ميادين الحياة : في بيته ، مع جاره ، في وظيفته وتجارته ، في بيعه وشرائه ، في كل معاملاته ...! ولا تأخذه غفلة ولا تطويه حيلة .

ولايستطيع المؤمن أن يحقق ذلك إذا لم تكن النصيحة مدار أمره ، ومحور عمله . النصيحة التي أمر بها الله بكل خصائصها المحدَّدة في منهاج الله ، ومن هذا التصور فهو لايقدم رأياً لم يستوف الشروط الإيمانية وقواعد الإسلام : من صدق نية وتجرد ، من علم بمنهاج الله يسمح له ببيان رأي ، وتقديم نصيحة ، ومن علم بالقضية المطروحة ، علم كاف يسمح له بردها إلى منهاج الله ، مادامت في حدود وسعه وقدرته ، ومسئوليته وأمانته ، رداً أميناً استوعب جهده ونيته وعلمه .

وهو بذلك يلتزم قواعد الخلق الإسلامي : فهو لايكذب ولايخدع ، ولايخون ولايغش ، ولايفشي الأسرار ولايفضح الناس ولايتتبع العورات ولايسيء الظن بالمؤمنين ، ولايغدر ، ولايقع في الغيبة والنميمة ، والظلم والعدوان ، وسائر مانهى عنه الإسلام . وهو يعين المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليجتنبوا هذا كله ، من خلال النصح الملتزم بقواعده كلها . فهو يبذل من أجل ذلك الجهد والوقت والمال طاعة لله ولرسوله ﷺ .

فإذا صدقت هذه الخصائص ، فهو داعية ينزل إلى ميدان الدعوة ، يدعو إلى الله ورسوله ﷺ ، يدعو الناس ليجتمعوا على كلمة واحدة ، ودين واحد ، ويعبدوا رباً واحداً . يدعو لتكون الأمة المؤمنة الواحدة . الدعوة الإسلامية الواحدة ، يدعو على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، على ضوء الواقع الذي يعيش فيه ، دون أن يبدل في دين ، أو ينحرف إلى هوى . يدعو ليحكم منهاج الله الناس كلهم ، فيردوا قضاياهم كلها إليه ، صغيرها وكبيرها . يدعو وهو على عبودية صادقة لله ، قامت على إيمان وعلم وممارسة . وهو يلتزم في ذلك برابطة الأمة . يلتزم برابطتها كما عرضناها ويحترم صلاتها ، ويخضع لقواعدها النابعة من منهاج الله ، على ضوء الواقع البشري الممتد ، يخضع لقواعدها النامية نمو إيمان وعلم ، وموهبة وتجربة .

فهو بذلك يساعد على نمو قواعد الممارسة الإيمانية ، وفقه العمل الصالح ، لتشمل ميادين الحياة كلها ، دون أن تختنق في ميدان واحد ، فهو يعامل الناس جميعهم على أساس من منهاج الله ، لا على أساس من هوى ومصالح ، وهو يمارس ذلك في جميع الأوقات ، وجميع الساحات ، يدفعه إلى ذلك كله : إيمان ، علم بمنهاج الله ، وعلم بالواقع ، وسع وطاقة ، موهبة وخبرة .

إن هذا الإعداد ، إن هذا الالتزام ، إن هذا العهد ، ليرسم للمؤمن طريقاً مستقيماً لاعوجَ فيه إن شاء الله ، فهو في كل نقطة من نقاطه نداء رباني ، دعا إليه منهاج الله -**قرآناً وسنة ولغة عربية**- ، ولم يدع إليه مذهب ، أو فرقة ،

أو طائفة ، أو حزب إنه أساس النهج ، وقاعدة الانطلاق ، في واقع بشري متجدد الأحداث ، متبدل الظروف .

إنها تكاليف المؤمن ، أو بعض تكاليفه . إنها نابعة من منهاج الله ، كما ذكرنا ، وكذلك فإنها منتقاة على ضوء الواقع البشري ، الواقع الذي تجتازه الأمة المسلمة . فكل قاعدة إذن نابعة من منهاج الله ، تحمل الدليل والبينة والحجة منه ، وتحمل كذلك ضرورتها وأهميتها من الواقع البشري الذي نعيشه ، والذي نفهمه من خلال منهاج الله فحسب ، لامن خلال أهواء ، ونزعات بشرية ، ورغبات وشهوات .

في هذا الجو من التكاليف ، وعلى أساس هذا التصور القرآني ، ومن خلال فهم واقع المسلمين ، يدرك المؤمن أن أهم مايميز واقع المسلمين اليوم هو ضعفهم وهوانهم وتمزقهم ، فيكون من أهم مسئولياته ، وتكاليفه ، وعهده مع الله ، أن ينهض ليضم سبباً من أسباب القوة إلى أمته المؤمنة ، ليصب شكلاً من أشكال العزيمة والدفع والبناء ، لينهض ليصب عصارة عاطفته ، وفكره ، وعلمه ، وعرقه ، ووقته ، وماله ، صباً غنياً في مجرى غنّي ، في أمته ، في دينه ، في دعوته ، دون أن يسمح أن تكون طاقته مصبوبة في مجرى الأعداء ، وروافد الكفر ، وجداول الفرقة والتمزق ، وأنهار التيه ، وبحار الفتن . إنه يدرك أن من بين مسئولياته وأمانته وواجباته وعهده أن يضيف قوة إلى قوة وساعداً إلى ساعد ، وعزيمة إلى عزيمة .

ونود أن نعرض هنا الآن قبسات من منهاج الله ، تنير لنا الرؤية ، وتطمئن النفس ، إلى أسس وقواعد العهد والميثاق .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

[الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]

إنه العهد بين الخلق كلهم، وهم في عالم الذر، مع ربهم وخالقهم. إنه عهد الإيمان والتوحيد. إنه عهد الإقرار بالربوبية المطلقة لله، وعبودية الإنسان المطلقة بين يدي ربّه وخالقه ومولاه. إنه العهد الممتد حتى قيام الساعة. إنه العهد الذي لايقبل عذر لنقضه أبداً ... أبداً.

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١١٥ - ١٢٧]

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾

[الأحزاب: ٧، ٨]

إنه كذلك امتداد العهد والميثاق بعد آدم عليه السلام، مع نوح ومع جميع النبيين من بعده، ومع خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ. إنه مع هؤلاء جميعاً ميثاق غليظ، ليبلّغوا الناس هذا العهد والميثاق ليلتزموه، ويخضعوا له في إخبات وعبودية. فمن آمن وسمع وأطاع فله الجنة. وأما الكافرون فقد أعد الله لهم عذاباً أليماً في جهنم وبئس المصير.

ويتأكد هذا العهد في سورة آل عمران :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١]

فهو عهد وميثاق مع النبيين أن يبلغوا الكتاب والحكمة الموحى بها من عند الله للناس ، وهو عهد وميثاق بمجيء محمد ﷺ يصدق الرسل ليؤمن به أتباع الرسل كلهم ولينصروه . وهو عهد وميثاق ، وهو إصر ، وهو إقرار ، وهو شهادة ميثاق وتوثيق وإحاطة كاملة مع كل ناحية ، لاتفلت منه أبداً إلا لفاسق كافر :

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٢]

إنه عهد يتأكد مع كل نبي ورسول ، ومع كل وحي ورسالة . إنه مع النبيين جميعاً .

ويمتد العهد كما ذكرنا حتى يشمل بني آدم كلهم . لقد كان أول العهد وهم في عالم الذر ...! ثم هو يتأكد في الحياة الدنيا مع جميع الرسل والأنبياء ومع بني آدم :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]

ومضت الآيات في سورة البقرة والأنعام والرعد والنحل والإسراء والأحزاب تؤكد أهمية العهد مع الله ، أهمية الوفاء به ، وخطورة نقضه . ولقد ذكرنا هذه الآيات في فصول سابقة ولكننا نعيد قبسات منها للتأكيد :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ .... ﴾ [النحل: ٩١]

﴿ ... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ... ﴾ [البقرة: ١٧٧]

﴿ ... وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا .... ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠]

﴿ولا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ....﴾ [النحل: ٩٥]

﴿.... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]

﴿.... وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ [الأحزاب: ١٥]

فهو إذن عهد الله ...! وكل عهد بعد ذلك هو نابع صادر، قائم، مبني على أساس من عهد الله .

ويمضي العهد والميثاق. كما ذكرنا مع كل نبي، بصورة فيها تأكيد وتثبيت وإقرار. وهو عهد يتأكد مع كل مهمة وأمر :

﴿... وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥]

ثم يتأكد العهد والميثاق مع أصحاب كل نبي، حتى لاتبقي فرصة لتفلت أبداً. ويتكرر في القرآن الكريم هذا العهد مع بني إسرائيل، وما نقضوه وما حلت عليهم بسبب ذلك من لعنة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣]

ميثاق عام شامل، مؤكد غليظ ...!

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠]

﴿.... أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩]

وكذلك في سور متعددة يتأكد عهد بني إسرائيل مع الله. وكيف نقضوه :

﴿ ولَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾ [المائدة: ١٢، ١٣]

عهد مفصل وميثاق مؤكد ثم نقض للعهد والميثاق تحريف له وتبديل وتغيير. ثم نسيان لحظ منه، ثم هي العقوبة في الدنيا عندما يأتي قضاء الله وقدره، ثم عذاب الآخرة:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) ﴾ [المائدة: ٧٨]

وكذلك:

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾ [المائدة: ٦٠]

أما مع النصارى فقد كان ميثاقاً عظيماً كذلك:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) ﴾ [المائدة: ١٤]

وهكذا الحال مع النصارى، نسوا حظاً مما ذكروا به فحل عليهم عذاب الله في الدنيا والآخرة.

ثم هو العهد مع المؤمنين ، مع أصحاب محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو عهد ماض إلى يوم القيامة ...!

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧ ﴾ [المائدة: ٧]

إن العهد والميثاق جاء هنا ، في هذه المناسبة ، مع هذه العصبة المؤمنة ، على نحو آخر ، وأسلوب أحنى وأرق .

إنه مع العصبة التي قالت : «**سمعنا وأطعنا ..!**» ولذلك كان العهد والميثاق نعمة ... «**واذكروا نعمة الله ...**» . وهو عهد من الله . وعهد مع الله : «**... وميثاقه الذي واثقكم به ..** » . إنه تعبير قرآني معجز بالحنو والرعاية . ثم هو نصح وأمر وتحذير : «**واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور**» فلا يكفي القول : « **سمعنا وأطعنا ...**» ، ولكن القلوب يجب أيضاً أن تسمع وتطيع ، وتخبت وتنيب ، فالله عليم بذات الصدور .

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ [الحديد: ٨]

فهو إذن دائماً ميثاق وعهد ، وهذا الميثاق والعهد ، بكل شروطه وأسسه مرتبط بالإيمان نابع منه .

إنه هنا ميثاق وعهد مع نفس العصبة ، مع نفس الأمة ، أمة محمد ﷺ ، وهو عهد عظيم ، وميثاق غليظ ، يصوغه القرآن الكريم مع كل مناسبة صياغة جديدة تحمل إعجاز القرآن ، إعجازه في البيان ، إعجازه في الصورة ، إعجازه الكامل ...! .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١١١ ﴾ [التوبة: ١١١]

صورة رائعة مشرقة للعهد . صورة تحمل عظمة الأمانة والمسئولية في ثنايا الحنان والرعاية ، والبشريات الواسعة الممتدة . وفي القرآن الكريم ، حينما ذكر المال والنفس كانت كلمة المال تأتي أولا ثم تأتي كلمة النفس ومشتقاتها :

﴿ .... وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ﴾ [الصف: ١١]

وهكذا في جميع آيات كتاب الله وسوره ، إلا في هذه الآية من سورة التوبة فقط ، جاء ذكر النفس أولاً : (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ...**) .

والله وحده أعلم بحكمته بهذا الترتيب . ولكننا نحاول أن نعرض ظلاً من الظلال لاندّعي أنه تفسير ، ولكنه ظل لايخرج عن حدود اللغة العربية وقواعدها ، وقواعد العقيدة وأسسها . ففي جميع الآيات يأتي ذكر المال والنفس وعلى نحو واحد : «جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » ، «**تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم** » ، «**جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ..**» . وهكذا تتوالى الآيات على شبه نسق واحد يكون محور العمل وبدايته من الإنسان نفسه . فهو الذي يكلف بالجهاد بالمال والنفس ، لما كان العرض على هذا النحو فإن الإنسان يبتديء في غالب الأحيان في جهاده بما هو أيسر وهو المال ثم يرقى بجهاده حتى يبلغ أقصى غاية الجود وهو بالنفس ذاتها .

وأما في هذه الآية من سورة التوبة : «**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ...**» فإن العرض أتى على نحو مغاير . أتى العرض هنا ومحور العمل وبدايته مقترنة بالله سبحانه وتعالى ، مقترنة بالله خالق الإنسان وخالق نفس الإنسان ومال الإنسان . فوجب أن تُقدم النفس أولاً في ميدان العرض هذا لله سبحانه وتعالى . يقدم لله ، وقد بدأت الآية بذكر الله ، وبدأ العهد من الله ، وكان الشراء المبارك من الله ، يقدم أولا نفس الإنسان .

وناحية أخرى : إن محور الآية كلها هو الجود بالنفس . إن محور العهد ومحور الشراء هو : «**يقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتَلون ...**» إنها هي

القضية التي تعرضها الآية ، تعرضها من خلال عهد مع الله : « **ومن أوفى بعهده من الله**». فلذلك كان من المناسب تقديم كلمة النفس أولاً .

وهكذا تتجدد صورة عرض العهد والميثاق في كتاب الله . تتجدد مع كل آية ، حتى تتكامل الصورة في ألوانها ، وأجزائها ، وعناصرها ، تكاملاً متناسقاً .

وفي سورة الفتح :

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠]

وهكذا تمضي الآية الكريمة : «**ومن أوفى بما عاهد عليه الله**» . إنه العهد مع الله . إنه العهد الممتد إلى يوم القيامة مع نفس الجماعة ، مع نفس الأمة ، أمة محمد ﷺ .

ولكن عرضه يأتي من خلال سورة الفتح . من خلال قصة صلح الحديبية . من خلال حادثة كان موقف العقيدة والإيمان فيها موقفاً لم تتضح معالمه وقوته وعظمته لجميع المؤمنين . موقف اضطربت فيه الصورة والقضية في قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فاستفسر واستوضح حتى اطمأنت نفسه ، ورأى الحق قوياً جلياً . في هذا الموقف جاء التذكير بالعهد . ليمضي المؤمنون على صراط مستقيم ، وحق قويم . لاتهزهم أعاصير التصورات البشرية ، ولا أوهام الظنون ، ولا منافذ الشيطان . يمضون صفاً واحداً متراصّا يرتبطون كلهم بعهد مع الله ، ربهم وخالقهم ، ومولاهم ، يرتبطون بعهد مع الله ورسوله ﷺ .

هذه القضية العظيمة ، قضية عهد المؤمن مع الله ، عهد الأمة المؤمنة مع الله ، هذه القضية أخذت تضعف في النفوس ، ويبهت أثرها في القلوب ، على مدى قرون طويلة ...!

لقد كاد ينحسر أثر هذا التصور الإيماني في قلوب المسلمين لقرون طويلة . لقد كاد ينحسر أثر هذا العهد مع الله ، حتى لم يعد يهز قلوباً ولايحرك زنوداً .

وإنما يتلو المسلمون قرآنهم فيهزون رؤوساً ، ويحركون ألسنة ، حتى جاء العدو فحصد الرؤوس والألسنة .

إنها إذن قضية العهد مع الله ، عهد المؤمن ، وعهد الجماعة ، وعهد الأمة . إنه عهد الإيمان ، يبتدىء مع خلق آدم عليه السلام ، ويمضي مع ذريته حتى يوم القيامة . مع كل رسول ونبي ، ومع كل أصحاب الرسل والأنبياء . إنه يكتمل في صورته المتناسقة في رسالة محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين .

إنّ هذه هي القضية التي تحتاج إلى بعث في القلوب والنفوس . وإلى دفع على سواعد وزنود ، وإلى تذكرة وتذكير ، وعرض وإلحاح ، وإلى تأكيد وتثبيت ، وإعداد وتدريب . إنها تحتاج هذا كله وأكثر منه ، حتى ترتبط كل القلوب المؤمنة بعهدها مع الله رب العالمين ، فإذا صدقت بذلك ، أصبحت من خلال ارتباطها هذا ، مترابطة فيما بينها بموالاة بين المؤمنين ، وأخوة بين المؤمنين ، صفاً متراصاً واحداً ، لاتعمل فيه يد الفرقة ، والشعارات ، والأهواء ، والأحزاب ، عمل التمزيق والتقطيع .

إنها هي القضية التي تحتاج إلى جهود دائبة ، جهود حانية ، جهود لاتمل ولا تكل ، حتى يعود العهد مع الله على إشراقه في القلوب والنفوس ، فتمضي كل العزائم مشدودة تصب عرقها ، وفكرها ، ومالها ، ووقتها ، وبركة ذلك كله بإذن الله ، في دين واحد ، وأمة واحدة ، ومجرى واحد هو دين الإسلام ، وأمة الإسلام ، ومجرى الإسلام ، فتتجمع كل المواهب ، كل الطاقات ، كل القدرات ، على تناسق وتوازن في سبيل الله على صراط مستقيم . لاتبعثر ولا تتفتت .

بهذا العهد مع الله ، بهذا التصور ، يصبح كل مؤمن يصب عرقه ووقته ووسعه كله في دين الله ، لايبغي مغنماً دنيوياً ، ولايغلف مصالحه في شعار وراية يعطي ، ولا يأخذ ليسترخي . يعطي وأبصاره معلقة في الجنة . وكل مايبسط له الله من رزق الدنيا ، ونعمة في الدنيا ، من عافية وقوة ، ومال وغنى ، وشأن وسلطة ، كل هذا يصبح قوة في دينه وأمته ودعوته .

إنه يحمل ولايُحمل ، إنه لايلقي دنياه على دينه وأمته . حتى تقوى الأمة وتعز بإذن الله ، فإنها عندئذ تحمل الضعيف ، وتعالج المريض ، وتُغني الفقير ، وتوقظ النوّم والكسالى .

إن العهد مع الله ، إن دين الله ، لايقوى عليه في وثباته عاجز أو ضعيف أو مسترخ أو لاه . إنه يحتاج إلى العزائم القوية ، والزنود المشدودة ، والقلوب الوثابة، والأنفس الباذلة .

إن العهد مع الله عهد قوة وعزيمة ، عهد نهج وصراط مستقيم ، عهد بذل وعطاء عهد صدق ووفاء ، إنه عهد يمضي به المؤمنون في عسرهم ويسرهم ، ومنشطهم ومكرههم ، وعافية ومرض ، وإقامة وسفر .

ولقد صور لنا القرآن الكريم صدق البذل والعطاء وطهارة الجود والوفاء ، في موقف من أقسى المواقف التي مرت على المؤمنين في المدينة ، يوم الأحزاب . يوم أن اجتمعت كل قوى الكفر من قريش وأعوانها ، وكل أهل الكتاب من بني قريظة وغيرهم ، وكل قوى المنافقين في المدينة المنورة وخارجها ، يوم أن اجتمعت هذه القوى كلها في معركة واحدة ، وخط غادر واحد ، أحاطوا بالمدينة المنورة يحاولون استئصال شأفة الإسلام .

في هذا الموقف العصيب ، لو أخذت كل الأسباب المادية ، والمقاييس الدنيوية، لرأيت هزيمة المؤمنين محققة ، وغلبة المشركين يقيناً ، ولكن موازين الإيمان تختلف كثيراً .

لقد كان في المدينة المنورة أمة الإسلام ملتفة حول النبوة المباركة ، مرتبطة كلها بعهد مشرق مع الله ورسوله ﷺ وكان كل مؤمن قد وعى بنود العهد وشروطه كلمة كلمة ، وشرطاً شرطاً ، وتدرب عليها إيماناً وفكراً وتصوراً ، وممارسة وعملاً ومعاناة . فوقف المؤمنون ، وقد استكملوا خلال سنين مضت كل أسباب التدريب والتوعية والإعداد ، وصبوا كل جهود عرقهم ومالهم في هذا السبيل ، قدر ما يملكون ، وقدر مايستطيعون .

لقد جاءت غزوة الأحزاب بعد أن أثبت المؤمنون صدق الوفاء، وصدق العطاء سنين عديدة. ولم يقم الوفاء بالعهد فجأة من بعد نوم، وركضاً من بعد قعود، وتَجمُّعاً من بعد فرقة، وتخطيطاً من بعد اضطراب. إنه الوفاء الدائم منذ البداية، والعمل الدائب منذ اللحظة الأولى، والصف المتراص منذ النطق بالشهادتين، والوعي والتخطيط والنهج منذ قيام الدعوة. إنه إذن عهد متصل، وجهد متصل، ووفاء متصل، وتراص متصل، ونهج متصل.

ولذلك كان المؤمنون الصادقون يعون ماهم مقبلون عليه، ويعون مايبذلون وما سيبذلون. واستمع إلى آيات الله:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾

[الأحزاب: ١٢]

وتمضي الآيات الكريمة تصف المنافقين: موقفهم، ونفسيتهم وصفهم المضطرب الهلع ... وصفاً دقيقاً مفصلاً. لقد كان الموقف بالنسبة لهم موقفاً مذهلاً مع ما شاركوا في صنعه وتدبيره.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً ﴾

[الأحزاب: ١٤]

إنه الموقف المفاجيء المذهل. موقف لم يسبقه بذل وتدريب، ووفاء ونهج وتخطيط. فمن البداهة إذن أن تكون هذه مواقفهم إذا سئلوا الفتنة وقد فاجأتهم وما أعدوا لها عدة: لآتوها ..! نعم لآتوها. وما تلبثوا بها إلا يسيرا، ويمضي التصوير القرآني على إعجازه.

أما المؤمنون الصادقون فشأنهم شأنٌ آخر، وموقف آخر ونفسية أخرى. إنه منذ اللحظة الأولى لدخولهم في حومة الإيمان عرفوا أنهم على عهد مع الله، وعرفوا مابذلوا وما يمكن أن يبذلوا، راضين بالأجر والثواب، راضين بالبيع ...! ثم مضوا منذ اللحظة الأولى صفاً متراصاً على نهج وتخطيط، وإعداد وتدريب،

وممارسة ومعاناة ، وصبر واحتساب ، إيماناً ورضاً ، وسعياً وعملاً . فلا تفاجئهم الأحداث ، ولا تنخلع قلوبهم :

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]

ماأعظم هذا التصور ! إنه العمل المستمر الدائب منذ اللحظة الأولى :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

إنه العهد مع الله . عهد مستمر في جميع الأحوال . عهد ماض لايبدله المؤمنون أبداً .

إن الأحزاب لم يكونوا مفاجأة للمؤمنين كما كانوا للمنافقين :

﴿ ..... قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب: ٢٢]

إنها عظمة العهد وعظمة الوفاء ، وعظمة الإيمان والاستسلام لله رب العالمين. فانهزم النفاق والمشركون وأهل الكتاب ، وانتصر المسلمون بصفهم المتراص ، ونهجهم المتصل ووفائهم المتصل .

ولو رجعنا اليوم لرأينا الآية الكريمة :

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٤]

لو رجعنا إلى موقعنا اليوم ، لرأينا أن هذه الآية أقرب إلى وصف كثير من المسلمين . كم من المواقع أتوا بها الفتنة وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ذلك لأن العهد مع

الله قد انقطع أو بهتت معالمه ، فغاب الصف المتراص ، والوفاء والمتصل ، والنهج الممتد ، والعطاء الصادق .

وتمضي عصبة الإيمان في الأرض ثابتة مع الله ، صادقة بعهدها ، لاتبدل ..! إن عصبة الإيمان ممتدة مع الزمن كله ، كما تحمل لنا ظلال الآية الكريمة :

﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

إن عصبة الإيمان هذه لاتتميز بشعار ترفعه فما أكثر الشعارات ، ولا تتميز بلسان تدفعه فما أكثر الألسنة . ولكنها تتميز بالنهج الواعي الممتد ، والصف المؤمن المتراص ، والبذل الواسع والوفاء الصادق .

إنها تتميز بعهدها مع الله رب العالمين ، حتى إذا صدقت فيه ، في هذا العهد مع الله ، صدقت في سائر عهودها في الحياة الدنيا ، وهي عهود وعي وإيمان وعلم ، عهود سعي وجهد وفطنة ...! عهود لاتمزقها الفرقة ، ولاتقتلها الطوائف ، ولا يميتُها التحجر ...!

فهرس كتاب
لقاء المؤمنين
الجزء الأول
أسسه وقواعده


إصدارات دار النحوي
للنشر والتوزيع

إصدارات دار النحوي للنشر والتوزيع

* مؤلـفـات الـدكـتـور عـدنـان عـلـي رضـا الـنـحـوي

الرقم	اســـــم الكتـــــاب	الطبعـة
	أولاً : كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية :	
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط ١
٢	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط ٢
٣	أضواء على طريق النجاة	ط ١
٤	النهج والممارسة الإيمانيّة في الدعوة الإسلامية	ط ٤
٥	كيف تلتقي الجماعات الإسلامية	ط ١
٦	الموجز الميسَّر عن مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن	ط١
	ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية :	
٧	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط ٦
٨	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط ٥
٩	النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط ٣
١٠	منهج لقاء المؤمنين	ط ٢
١١	لقاء المؤمنين – أسسه وقواعده – الجزء الأول	ط ٥
١٢	لقاء المؤمنين – الأهداف – الجزء الثاني	ط ٤
١٣	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٣
١٤	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الأول	ط ٢
١٥	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الثاني	ط ١
١٦	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط١
١٧	الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح	ط١
١٨	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ١
١٩	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط ١
٢٠	التربية في الإسلام – النظريّة والمنهج .	ط١
٢١	النهج الإيماني للتفكير	ط١

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
٢٢	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام	ط١
٢٣	حتى نتدبّر منهاج الله	ط١
٢٤	حتى نغيّر ما بأنفسنا	ط١
٢٥	لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسئولية المسلم الذاتية (المنهاج الفردي)	ط١
٢٦	النهج في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٢٧	الموازنة وممارستها الإيمانية	ط١
٢٨	الاختلاف بين الوفاق والشقاق	ط١
٢٩	مواجهة المشكلات والأخطاء والتقصير وعلاجها	ط١
ثالثاً : كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان :		
٣٠	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط ٣
٣١	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط ١
٣٢	النية في الإسلام وبعدها الإنساني	ط ١
٣٣	النية إشراقة في النفس وجمال	ط ١
٣٤	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط ٤
٣٥	الحوافز الإيمانيّة بين المبادرة والالتزام	ط ٤
٣٦	الخشـــــوع	ط ١
٣٧	النبي العظيم والرحمة المهداه محمد ﷺ	ط ١
رابعاً : كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي وأهم أحداثه وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع :		
٣٨	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٤
٣٩	الشورى لا الديمقراطية	ط ٥
٤٠	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط ٣
٤١	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط ١
٤٢	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط ١
٤٣	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط ١
٤٤	المسلمون بين العَلمانية وحقوق الإنسان الوضعيَة	ط ١

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
٤٥	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية	ط١
٤٦	على أبواب القدس	ط٣
٤٧	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ٤
٤٨	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط ٢
٤٩	حوار الأديان - دعوة أم تقارب أم تنازل	ط ١
٥٠	الانحراف	ط ١
٥١	كيف ضيّعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها ؟!	ط ١
٥٢	حرّية الرأي في الميدان	ط ١
٥٣	هذا هو الصراط المستقيم فاتّبعوه !	ط ١
٥٤	المسلمون بين الواقع والأمل	ط ١
٥٥	تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات	ط١
٥٦	الرِّبـَا وخطره في حياة الإنسان	ط ١
٥٧	الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات	ط ١
٥٨	هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات	ط١
٥٩	العولمة والإسلام	ط١
٦٠	الشريعة والحياة المعاصرة	ط١
٦١	فقه الاستشهاد في سبيل الله	ط١
	خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي ، وترد على المذاهب الأخرى :	
٦٢	الأدب الإسلامي - إنسانيته وعالميته	ط ٤
٦٣	الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته	ط ١
٦٤	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٦٥	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط١
٦٦	أدب الأطفال الإسلامي وأثره في تربيتهم العقدية الصحيحة	ط١
٦٧	التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف	ط١
٦٨	لماذا اللغة العربية ؟	ط١
٦٩	الحداثة في منظور إيماني	ط٤

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
٧٠	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٣
٧١	الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام	ط ١
٧٢	الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية	ط١
٧٣	الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره	ط١
٧٤	تجربتي الشعرية وامتدادها	ط١
٧٥	قراءة في قصيدة مهرجان القصيد أو الأدب الإسلامي	ط١
٧٦	الملحمة بين التصوّر الإيماني والتصور الوثني	ط١
سادساً : الدواوين الشعرية :		
٧٧	ديـوان الأرض المباركـة	ط٦
٧٨	ديوان موكب النور	ط٤
٧٩	ديوان جراح على الدرب	ط ٣
٨٠	ديوان مهرجان القصيد	ط١
٨١	ديوان عبر وعبرات	ط١
٨٢	ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل	ط١
٨٣	درة الأقصى	ط١
٨٤	أكثروا ذكر هاذم اللذات - أب يرثي ابنه	ط١
سابعاً : الملاحم الشعرية وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه :		
٨٥	ملحمة فلسطين	ط ٥
٨٦	ملحمة الأقصى	ط ٢
٨٧	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط ٣
٨٨	ملحمة البوسنة والهرسك	ط ٢
٨٩	ملحمة الإسلام في الهند	ط ٢
٩٠	ملحمة القسطنطينية	ط ٢
٩١	ملحمة الغرباء	ط٣
٩٢	ملحمة أرض الرسالات	ط ١

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
٩٣	ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين	ط ١
٩٤	لهفي على بغداد	ط ١
٩٥	ملحمة بين سجن «أبو غريب » ورفح	ط١
٩٦	ملحمة أفغانستان	ط١
٩٧	ملحمة الطوفان "تسونامي"	ط١
٩٨	ملحمة التاريخ ! قيام الدولة الإسلامية وسقوطها	ط١
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
٩٩	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط٢
تاسعاً : كتب في علوم أخري :		
١٠٠	دراسة الموجات الالكترومغناطيسية المتوسطة «بالإنجليزية»	ط١
عاشراً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
١٠١	لقاء المؤمنين - الجزء الأول «ترجم إلى اللغة التركية »	ط ١
١٠٢	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع «ترجم إلى اللغة التركية »	ط ١
١٠٣	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع « ترجم إلى اللغة الإنجليزية »	ط ١
١٠٤	لماذا اللغة العربية « ترجم إلى اللغة الأوردية »	ط ١
أحد عشر : الصوتيات والمرئيات :		
١	أضواء على طريق النجاة	فيديو وكاسيت
٢	لمحة عن واقع المسلمين أمراض وعلاج	فيديو وكاسيت
٣	الإسلام أركان وبناء - تذكير ونصح	فيديو وكاسيت
٤	الأسلوب والأسلوبيّة	فيديو وكاسيت
٥	درة الأقصى	فيديو وكاسيت
٦	النيَّة إشراقة في النفس وجمال ويَقَظةٌ في القلب ووعي	فيديو وكاسيت
٧	حديث النفس بين الدنيا والآخرة	فيديو وكاسيت
٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم	فيديو وكاسيت
٩	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	فيديو وكاسيت
١٠	قضايا في الأدب الملتزم بالإسلام	فيديو وكاسيت
١١	المسلمون في الغرب بين الإسلام والعلمانية	فيديو وكاسيت

الرقم	اســـم الكتـــاب		الطبعـة
١٢	محاضرة الوصايا والمواعظ		فـيـديو وكـاسـيت
١٣	ندوة شعرية - عمان		فـيـديو وكـاسـيت
١٤	ندوة شعرية عن فلسطين		فـيـديو وكـاسـيت
١٥	ندوة شعرية - جامعة قطر		فـيـديو وكـاسـيت
١٦	ندوة شعرية - مؤسسة (مركز) الملك فيصل		فـيـديو وكـاسـيت
١٧	محاضرة : «وحملها الإنسان»		كـــاســـيت

*** كتـب لمؤلفـين آخـريـن :**

الرقم	اســـم الكتـــاب		الطبعـة
١	من ذخائر التراث الإسلامي	الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي	ط ١
٢	ملحمة بنت حواء المغربية	الدكتور عبدالرحمن عبدالوافي	ط ١
٣	معجم مصطلحات الأدب الإسلامي	الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز	ط ١
٤	الإبدال والإعلال دراسة نظرية تطبيقية في قصيدة البردة	الدكتورة منيرة محمود الحمد	ط ١
٥	النفخ في الطين قفو الأثر في أسماء السور	الدكتور حسن الأمراني	ط ١
٦	قصيدة الإسراء	الدكتور حسن الأمراني	ط ٣
٧	ديوان أين الطريق	مصطفى حسن حمد الله النبالي	ط ١
٨	قالت لي أمي - قصة	أفنان سمير الحلو	ط ١

*** كتب للنشر والتوزيـع :**

الرقم	اســـم الكتـــاب		الطبعـة
١	مواقف من التاريخ العربي	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٢	موسوعة العالم في صفحات	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٣	موسوعة الـ ١٠٠٠ سؤال في العلم والمعرفة	سليمان مصلح أبو عزب	ط ٤
٤	قطر والعالم الإسلامي - حقائق ومعلومات بيئية	سليمان مصلح أبو عزب وآخرون	ط ١
٥	بيضـة الديك	يوسف الصيداوي	ط ١



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ – فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢

موقع الانترنت : www.alnahwi.com

البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com

ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الجمع التصويري - جمع الكمبيوتر - والتصميم والإخراج الفني بالتعاون مع :

وكالة وادي العمران للدعاية والاعلان - الرياض - هاتف ٤٧٣٣٠٥٠ ـ فاكس : ٤٧٣٣٠٦٠ - جوال : ٠٥٠٣٢٠٧٣٥٠

مع هذا الكتاب

لقاء المؤمنين

الجزء الأول

أسسه وقواعده

لقاء تذوب فيه العصبية والإقليمية والقومية. تموت فيه الجاهلية و أهواؤها، والظلم وعواصفه، والشرك وفجوره، والرذيلة وآثامها.

لقاء تجتمع فيه الأجناس والألوان، والقلوب والأفكار، والعواطف والآمال، تلتقي هذه كلها على منهاج الله ليجمعها أمة واحدة، وقوة واحدة. لا يجمعها صنم مهما كان ذلك الصنم، ولا شعار عابر مستعار، ولا هوى ثائر تائه، ولا طائفة غرّها الفرح الخادع، والجهل القاتل.

هنا ... في لقاء المؤمنين ... تهدأ النفوس، وتطمئن على إشراقة آية وحديث، وقوة نهجٍ كريمٍ، وعزة سلطانٍ أمين، وحبل من الله متين، وأُخوة وموالاة، وصبر ومعاناة، وقربى ورحم، وجوار موصول، وروابط مشدودة.

هذا اللقاء يجمع العمل الإسلامي وتاريخه الطويل، وزاده وتجاربه وخبرته ومواهبه.

ذلك ...،

لأن العمل الإسلامي يحمل في تاريخه الطويل زاداً عظيماً من الخبرة والتجربة، سواء في مراحل القوة والنماء ومراحل الضعف والوهن، فلقد تعددت التجارب والمحاولات في مسيرة طويلة بعد انقطاع الوحي وانتقال محمد صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وهو خاتم النبيين والمرسلين، وظهرت من خلال تلك التجارب عيوب وأخطاء. ولكن الجهود لم تنهض لتجمع هذه المسيرة في دراسة إيمانية واعية، تضع تجربة جيل في خدمة جيل آخر. ولم يتطور العمل إلى قواعد منهجية تساعد على تجنّب الزلل والخطأ، وتنأى به عن التعثّر والانحراف.

ولقاء المؤمنين يفعل ذلك ... إن صدقت القلوب والعزائم ليجتمع المؤمنون في الأرض أمة واحدة، وصفاً واحداً كالبنيان المرصوص، يبلغون رسالة الله إلى الناس كافة كما أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم، ويتعهّدونهم عليها، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض، طاعة لله والتزاماً لأمره سبحانه وتعالى، ليكون العهد الأول مع الله، والولاء الأول لله، والحب الأكبر لله ورسوله، لتقوم بذلك أخوّة الإيمان الصادقة، والموالاة بين المؤمنين.

ردمك: ١-٥-٩٧٧٩-٩٩٦٠

مطابع الحميضي، ت ٤٥٨١٠٠٠ ف ٤٥٩٢٢١٧